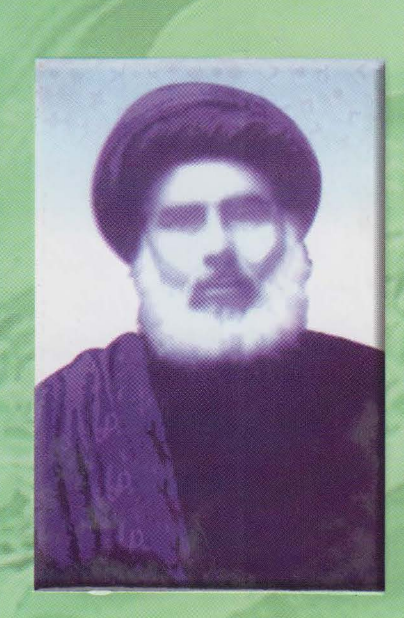


الإمام شرف الدين

باحثاً ومجاهداً وداعية للإصلاح والوفاق

تأليف

آية الله جعفر السبحاني



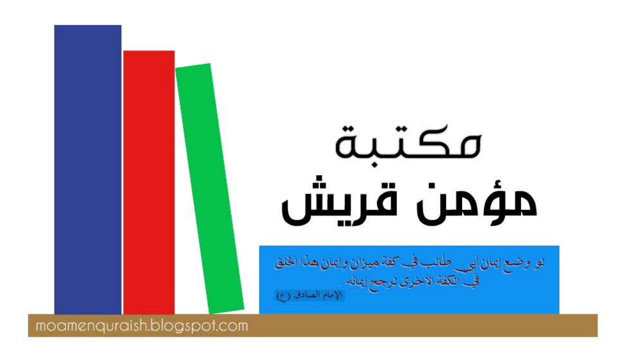
دار جواد الأئمة عليهم السلام

الإمــام شــرف الــدين

باحثاً ومجاهداً وداعية للإصلاح والوفاق

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م



دار جواد الأئمة (ع)

بيروت - لبنان

ت - ٠٣/ ١٣٧٣٧٣

في رحاب نوابغ العلماء

٥

الإمام شرف الدين

باحثاً ومجاهداً وداعية

للإصلاح والوفاق

تأليف

آية الله جعفر السبحاني

دار جواد الأئمة(ع)

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتزّ الأمم ـ جميع الأمم ـ بالعظماء من علمائها ومفكّريها وقادتها، الذين كرّسوا حياتهم للنهوض بالأُمّة في ميادين العلم والعمل والكفاح والجهاد، تلبيةً لدواعي الوفاء لهم، وتثميناً لجهودهم، وتعريفاً بمقامهم ومكانتهم، واستلهاماً لعطائهم الثرّ.

وتحقيقاً لهذه الأغراض، آثرنا القيام بتأليف سلسلة (في رحاب نوابغ العلماء)، نُلقي فيها الأضواء على جوانب مهمة من سيرة علمائنا الأفذاذ، و نعرض لأهمّ آرائهم وأفكارهم ونتاجاتهم المتميزة.

ونحن إذ ننشر هذه السلسلة، لا نستهدف من ورائها دعوة الشباب إلى أن يكون عظامياً، يفخر فقط بما أنجزه الماضون من علمائنا الأبرار، وينأىٰ بنفسه عن بناء حاضر مشرق زاخرٍ بالحيوية والنشاط،وإنّما هي دعوة إلى التواصل مع التراث الحي، الذي يبعث الجيل الحاضر على الفخر والاعتزاز لشعوره بأنّ ثقافة أُمّته وحضارتها

ضـاربة بجـذورها في أعماق التـاريخ، ثمّ هـو ـ الجيل الحاضر ـــ يحاول الإفادة منـه، وتطويـره بما ينسجم ومتطلّبات العصر، وتطلّعـات الشباب المتوثّب للتقدم والنهوض لخدمة إسلامه العزيز وأُمّته العظيمة.

وهنـا نحن نقـدّم إلى القـراء الأعــزاء نماذج من حيـاة لفيف من علمائنـا وقـادتنـا، لتكـون نبراسـاً يستهـدون بـه في مسيرتهم نحـو الخير والكمال. كما نقـدّمه إلى المؤتمر الـذي أُقيم تكريماً للسيـد الإمام الـراحل السيـد شرف الدين في عـاصمة العلم والفقـه والـدين، قم المقدسـة في الثالث والـرابع من صفر المظفر عام ١٤٢٦هـــ. والله المسدّد و من وراء القصد.

المؤلف

الحادي عشر من شعبان المعظّم

١٤٢٦هـ

تمهيد

الإمام شرف الدين

باحثاً ومجاهداً وداعية للإصلاح والوفاق

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ ﴾.[1]

أمّا بعدُ، فإنّي أتقدّم بالشكر والتقدير إلى الإخوة المسؤولين في مكتب الإعلام الإسلامي لما بذلوه من جهود في عقد هذا المؤتمر الدولي المخصَّص لتكريم العلاّمة السيّد شرف الدين العاملي ﷺ.

إنّها ـ والله ـ لفرصة طيبة وجميلة أن نلتقي في رحاب العلاّمة السيد شرف الدين لنُحيي مآثره الخالدة في حقول الدين والمذهب والأُمّة، ونقتطف منها أزاهير نُعطّر بأريجها الزاكي، هذا الحفل المبارك الّذي يجتمع فيه العلماء الأعلام والأساتذة والأُدباء والفضلاء، فأهلاً بكم جميعاً

١. المجادلة:١١.

ومرحباً.

ونَـوَدُّ في هـذا الـوقت الّـذي تهبّ فيـه أعـاصير الشرّ والطغيـان لتستأصل المبـادئ والقيم الـرفيعـة، وتسلب حقّ الشعـوب في تحقيق كـرامتها وحـريتها واستقـلالها...نـودّ في هذا الـوقت العصيب أن نحيّي بألسنتنا وقلوبنا وعواطفنا الصادقـة الوفدَ الكريم الّذي حلّ علينا ضيفاً من ربـوع العلم والفكر والجهـاد والتضحية والفـداء، تلك الربـوع التي أنبتت فطـاحل العلماء والفقهـاء والمفكّرين والأُدبـاء، كما نحيّي الإخـوة الأفاضل الأماجد الوافدين من العراق، فشكراً للجميع.

لا شكّ في أنّ الأُمّة الّتي تتسلّح بالعلم والإيمان واليقْظة والوحدة، لا يمكن أن تضعُـف أو تُستَفَلّ مهما كـانـت الخطـوب والمحـن الّتي تداهمها.

وفي هذا العصر أثبت علماء لبنان المجاهـدون وأحرارُه وصناديده أنّهم أعزّ وأمنع مـن أن تتطاولَ عليهم الذئاب، أو تنطليَ عليهـم أحابيل الأفاعي مهما لان مسُّها، أو تخدعهم شعارات الـديمقراطية المزيفة الّتي رأينا صـوراً منها في مُـدن العراق المُستبـاحة، وسجـونه الحافلـة بكلّ ما يبعث على التقزّز والاشمئزاز.

لقد اتضح تماماً أنّ أحـرار لبنان ومجاهديه على مستـوى المسؤولية في شتى الظـروف والأحداث، فبالأمـس وثبَ رجالـه الأشاوس لتحـرير أرضهم من دنس العـدو الصهيوني الّـذي ردّد الكثيرون ــ جهلاً وجبنـاً

وطمعاً ـ مقولة أُسطورة جيشه الّذي لا يُقهر، ولكن لم يمضِ وقت طويل حتّى رأى العالم فرارَ جنوده من الميدان فرار الحُمُر من بطشة الليث المصور.

لقد كان لهذا الانتصار والمظاهرات الحاشدة صدى واسع ووقع مؤثر في نفوس الجماهير الّتي بدأت تقترب من الإيمان بأنّ جولة الباطل لابدّ أن تنتهي بصولة الحق والإيمان والوحدة والإقدام، وأخذت تدنو من الاعتقاد بواقعية قول الشاعر:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابدّ أن يستجيبَ القَدَر
ولابدّ للّيل أن ينجلي ولابدّ للقيد أن ينكسر

واليوم، وثأراً للهزيمة الّتي مُني بها الصهاينة، وتنفيذاً لسياسة إخضاع الشعوب وإذلالها ومسخ هويتها ونهب ثرواتها، تمّت حياكة مؤامرة خبيثة في مصانع الكيان الصهيوني ودوائره العالمية وبتأييد بعض الفئات المخدوعة ببريق الديمقراطية الخادع أو المتاجرة بضمائرها للالتفاف على الإنجازات الكبيرة للشعب اللبناني وسوقِه إلى دائرة الشرق الأوسط الكبير الّذي تسعى أمريكا خاسئة لتحقيقه.

وهنا أيضاً، انطلقت الجموع لصنع ملحمة جديدة لإحباط هذه المؤامرة وإخماد الفتنة، والكشف عن زيف الادّعاءات والشعارات الكاذبة الّتي راحت تنزوي وتختفي أمام الحضور الجماهيري الحاشد الّذي

أجبر الأعداء على الاعتراف بمـرارةٍ بحقيقة قـوة ووعي وتلاحم الشعب، وعلى التفكير بأساليب جديدة تمهّـد الطريق لأغراضهـم الشريرة، ولكن الله تعالى والمؤمنين والأحرار لهم دائماً بالمرصاد«وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم».

***

برز في تاريخ الأُمّة الإسلامية عامة والشيعة الإمامية خاصة في كلّ قرن وعصر علماء كبار وعباقرة عظام، بـذلوا جهودهم في ترسيخ العقيدة الإسـلاميـة في قلوب النـاس وكشف حجب الـريب والشكّ عن وجـه الحقيقة، فكأنّهم هم المعنيون في حديث رسول الله ﷺ، إذ يقول:

«يحمل هـذا الدين في كلّ قـرن عدول ينفون عنـه تأويل المبطلين وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد».[١]

وفي القـرن الرابع عشر نجـد رجالاً أحيـوا الدين وأمـاتوا البـدع وصدّوا سهام الأعـداء المرشوقة، تشهد على جهـادهـم العلمي المتواصل كتب التراجم، ومعاجم الرجال.

ومن هؤلاء؛ الأجـلاء الأربعة الذيـن عاشوا في عصر واحـد وبيئة واحدة وتخرجـوا من مدرسة واحدة ولمسـوا حلوا الحياة ومرّهـا في العراق والشام، أعني:

١. آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي(١٢٨٤ـ ١٣٥٢هـ).

---

١. رجال الكشي: ١٠.

٢ . آية السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤ـ ١٣٧٣هـ).

٣. آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٢٩٤ـ ١٣٧٣هـ).

٤. آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٢٩٠ـ ١٣٧٧هـ).

فهؤلاء الأجلّة هم حجج الإسلام بحق، ورافعو ألوية الجهاد العلمي ببيانهم وبنانهم بلا شك، فقد ثابروا في عملهم لأجل هداية الأُمّة، وصبروا على مضض الحياة من غير اكتراث بما يصيبهم في سبيل بلوغ هذا الهدف.

وحيث إنّ هذا المؤتمر ينعقد إجلالاً لأحد هؤلاء العباقرة الأربعة، أعني: العلاّمة الحجّة آية الله العظمى السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، فنود أن نلقي أضواءً على جوانب من حياته.

١

خصائصه ومنجزاته

العالِم الإسلامي تارة يقتصر سعيـه في بلد خاص أو بأقليم معيّن، يبذل جهـده من أجل إنارة الطريق لأهلـه فقط، ولكن هناك القليل من المصلحين ممّن يحملون هموم المسلمين جميعاً، فيحررون أفكارهم عن قيد الإقليمية ويعطفون رغبتهم إلى العالم الإسلامي كلّه، فيكتبون للمسلمين عامة ويحاورونهم كذلك، فالمسلمـون لديهم كأسنان المشط، من غير ميز بين أقليم دون أقليم أو فئة دون فئة.

١. كان رجلاً عالمياً

وفي طليعـة هـؤلاء سيـدنـا الجليل عبـد الحسين شرف الـدين العاملي‌ﷺ الـذي يهدف في كـلّ أثـر حبّره يـراعـه إلى تماسك المسلمين وتعـاونهم وتمسّكهم بـالكتاب والسنّـة، فترى أنّـه يـؤلّف كتابـاً بـاسم: «الفصول المهمة في تأليف الأُمّة» وهو من أجلّ الكتب الكلامية، تناول

فيه مسائل الخلاف بين الطائفتين على ضوء العقل والاستنتاج والتحليل، وقد ألّفه في أيام شبابه، وتمّ في عام ١٣٢٧هـ.

ومن دلائل كونه رجلاً عالمياً لا إقليمياً أنّه ركب البحر عندما لم تكن أي طائرة في المنطقة، وتحمّل جهد هذا النوع من السفر، فتوجّه من لبنان إلى مصر عام ١٣٢٩هـ والتقى فيها بأفذاذ المدرسة العقلية في مصر وعلى رأسهم الشيخ سليم البشري المالكي شيخ الجامع الأزهر ، ودارت بينه و بين رئيس الأزهر مساجلات ومراجعات سوف نتحدّث عنها فيما بعد.

ولم تكن هذه الرحلة فريدة في حياته وإن كان لها آثار جميلة، فقد زار عام ١٣٣٨هـ دمشق ومصر وفلسطين مرّة أُخرى، وألقى خلالها محاضرات قيّمة واجتمع هناك مع مشايخ العلم وعباقرته.

كما أنّه زار عام ١٣٤٠هـ الأراضي المقدسة في عهد الشريف حسين وكان الموسم في ذلك العام من أحفل مواسم الحج، وكان للسيد بين جموع الحجاج مكانة شامخة بشهادة أنّه أمّ المسلمين في المسجدالحرام، وكان المسجد مكتظاً بألوان المسلمين، وصلّى من غير تقية.

وقد كان لهذه الرحلات أثر بارز في تعريف الأُمّة وتعريف الشيعة لأخوانهم، وتبيان أنّ الشيعة هم أخوانهم الّذين افتقدوهم منذ قرون.

٢. الاهتمام بتوعية الشيعة

إنّ الإمام شرف الدين لمّا أكمل دروسه عند أعلام العصر وجهابذة

الوقت، كما لمحقّق الخراساني (١٢٥٥ـ ١٣٢٩هـ)، والسيد كاظم اليزدي(١٢٤٧ـ ١٣٣٧هـ)، وشيخ الشريعة (١٢٦٦ـ ١٣٣٩هـ)، وغيرهم من أعلام النجف ومراجعها، غادر العراق ونزل بلاده فوجد أنّ الأُمّية متفشّية بين المسلمين عامّة، وعند الشيعة خاصّة، ولاحظ أيضاً أنّ المناصب العليا بيد المسيحيّين، والمهن الّتي لا يرغب فيها المثقّفون تركت للشيعة، فهم يمارسون المهن والحرف البسيطة.

فأحسّ السيدﷺ بواجبه فجعل توعيتهم وتثقيفهم نصب عينيه، فقام بتأسيس المدرسة الجعفرية في صور وجعلها نواة لفتح مدارس أُخرى في هذا المضمار، وقال عند مراسم الافتتاح كلمة قيّمة دارت على الألسنة منذ أن قيلت إلى يومنا هذا، وهي: «لا ينتشر الهدى إلاّ من حيث ينتشر الضلال».

وقد رسم بذلك الخط الّذي يجب أن يسير عليه قادة المسلمين، فإن التأثّر بالمسيحية أو المادية الّتي راجت في ذلك الزمان أو بعده انّما حدث في أوساط المسلمين عن طريق المراكز الثقافية كالمدارس والجامعات، فأخذ أساتذة العلوم يبشرون بالمسيحية تارة وبالمادية أُخرى في ثنايا دروسهم ومحاضراتهم. فإذا دخل الخصم في تحقيق مآربه عن هذا الطريق، فعلينا أن نسلك نفس هذا المنهج لتحقيق أهدافنا، لأنّه طريق معبّد ومنتج...

وإذا كان في ناموس الخلقة أن يرث الأبناء ما للآباء من الفضائل

والمناقب فإنّ كلمة السيد هذه، هي أشبه ما تكون بكلمات جدّه الإمام عليعليه السلام ، فلو وجدناها مكتوبة في ثنايا قصار الكلم للإمام في «نهج البلاغة» لما شككنا في صدورها عنهعليه السلام، وهذه فضيلة رابية للإمام الراحل شرف الدين.

٣. فتح باب الحوار بين الطائفتين

سادت على المسلمين بعد رحيل الرسولصلى الله عليه وآله وسلم فكرتان مختلفتان:

إحداهما: انّ المرجعية السياسية الدينية منصب إلهي يضعه سبحانه أين يشاء، وقد شاء أن تكون مختصة بأئمّة أهل البيتعليهم السلام ، فهم الذين لهم الحق في تولّي أُمور المسلمين في شتى الحقول والمجالات.

ثانيهما: أنّ هذه المرجعية منصب بشري يمارسها من يختاره الصحابة من المهاجرين والأنصار، وقد قاموا بدورهم هذا في سقيفة بني ساعدة.

هاتان الفكرتان سادتا على المسلمين إلى يومنا هذا، ولهم في هذا المجال؛ رسائل وكتب وموسوعات لا يمكن إحصاؤها.

إنّ أتباع هاتين الفكرتين يشتركون في أُصول وفروع كثيرة تسهّل لهم التمسك بعرى الوحدة الوثيقة، ولكنّهم ــ و للأسف ـ تناسوا المشتركات ، وضخّموا الأمر الّذي يفرّق بينهم، فأسفر ذلك عن عدم اطّلاع طائفة على ما عند الطائفة الأُخرى، ولذا نادىٰ سيدنا شرف

الدين﷼ بفتح باب الحوار لأجل تقريب الخطى بين الطائفتين، قائلاً: بأنّ ما يجمعنا أكثر ممّا يفرقنا.

إنّ باب الحوار، كان مفتوحاً إلى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، فهذا هو الشيخ المفيد(٣٣٦ـ ٤١٣هـ) قد ملأ كتبه وأماليه بالحوارات العلمية، وتبعه في ذلك تلميذاه: الشريف المرتضى (٣٥٥ـ ٤٣٦هـ) والشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ)، ولكن بعد هذه الفترة انسد باب الحوار بين أعلام المسلمين ولم يفتح إلاّ في موارد يسيرة لا تكاد تذكر، فنهض السيد الراحل إلى فتحه من جديد عن طريق المكاتبة مع أحد أعلام أهل السنّة، أعني الشيخ سليم البشري(١٢٨٤ـ ١٣٣٥هـ) شيخ الأزهر في عصره، وذلك بعدما هبط مصر أواخر عام ١٣٢٩هـ مؤملاً في ذلك تحقيق الأُمنية الّتي أمّلها، فوجد تربة مصر تربة خصبة بالعلم والذكاء، وقد جمع الحظ السعيد بينه و بين أحد أعلامها المبرزين المتميزين: «بعقل واسع، وخلق وادع ،وفؤاد حيّ، وعلم عيلم، ومنزل رفيع» كما عبر﷬ في مقدّمة مراجعاته وهو يصف لقاءه معه بقوله: «شكوت إليه وجدي، وشكا إليّ مثل ذلك وجداً وضيقاً، وكانت ساعة موفقة أوحت إلينا التفكير فيما يجمع الله به الكلمة، ويلمّ به شعثَ الأُمّة، فكان ممّا اتفقنا عليه أنّ الطائفتين ـ الشيعة والسنّة ـ مسلمون يدينون حقاً بدين الإسلام الحنيف، فهم فيما جاء الرسول به سواء، ولا اختلاف بينهم في أصل أساسي يفسد التلبّس با لمبدأ الإسلامي الشريف... ».

فترتّب على ذلك اللقاء الجميل مكاتبات ومـراجعات بلغ عددها ٦٥ مراجعة، أي أنّ السيد قـد تلقّى خمساً وستين سؤالاً من شيخ الأزهر ليجيب عليها، وقـد أجاب بعـدد الأسئلة، فصار المجمـوع كتابـاً علمياً تاريخياً حديثياً كلامياً كان له صدى واسع عندما طبع عام ١٣٥٥هـ.

يُشار إلى أنّ المتحاورين لم يخرجا عن أدب الإسلام وأدب المناظرة قيد شعرة، بل انّهما تبادلا عبارات التقـدير والاحترام، وهذا ما نلمسه في ثنايا كـلامهما، فهذا شيخ الأزهر يبدأ مراجعته الأُولى بقـوله: «سلام على الشريف العلاّمة الشيخ عبد الحسين الموسوي ورحمة الله وبركاته» ثمّ إنّه يكتب في ثنـايا تلك المراجعة: وإنّي لـواقف على ساحل بحـرك اللجي، استأذنك في خـوض عبـابـه والغـوص على درره، فإن أذنت غصنـا على دقائق وغوامض تحوك في صـدري منذ أمد بعيد، وإلاّ فـالأمر إليك، وما أنا فيما أرفعـه بباحث عن عثرة، أو متبع عورة، ولا بمفنـد أو مندد، وإنّما أنا نشّـاد ضالـة، وبحّاث عن حقيقـة، فإن تبيّن الحقّ فإنّ الحق أحق أن يتّبع، وإلاّ فأنا كما قال القائل:

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ ـدك راض والرأي مختلف

فبادله السيدﷺ الجواب الجميل وقال: «رميتنـي بآمالك ونـزعت إليّ برجائك، وأنت قبلة الراجي، وعصمة اللاجي، وقد ركبت من سوريا إليك ظهور الآمـال، وحططت بفنائك ما شددت من الـرحال، منتجعاً علمك، مستمطراً فضلـك، وسأنقلب عنك حي الرجـاء، قوي الأمل، ـ ثمّ يقـول لـه ـــ : فسل عما أردت، وقل مـا شئت، ولك الفضل، بقـولك

الفصل، وحكمك العدل».[١]

هكذا كان العلمان في سماء الأدب، وهذا هو تقديرهما لحقوق كلا الطرفين.

٤. اهتمامه بالفقه الأكبر

اهتمّ سيدنا الراحل بالفقه الأكبر نظير اهتمامه بالفقه الأصغر، فإنّ قائمة أسماء مؤلّفاته تشير إلى أنّ اهتمامه بعلم الكلام والعقائد ومسائل البنية التحتيّة للدين الإسلامي كان بنفس مستوى اهتمامه بمسائل الفقه الإسلامي، ويشهد على ذلك كتبه ومحاضراته في العقائد والكلام.

وهو يذكر في إجازته لآية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي أنّ من شيوخ إجازته الإمام الفقيه المحدث محمد المعروف بالشيخ بدر الدين الدمشقي شيخ الإسلام في دمشق وأعلم أعلامها، قال: فقد لقيته في شعبان سنة١٣٣٨هـ بدمشق وحضرت درسه ليالي رمضان من تلك السنة وجرت بيننا مذاكرة تتعلق بمباحث الحسن والقبح العقليين وبإمكان رؤية الله تعالى وامتناعها وبقدم القرآن وحدوثه، فآل البحث إلى ميله التام إلى رأينا في كلّ من المسائل الثلاث....[٢]

---

١. المراجعات: الأولى والثانية.

٢. مجلة آينه پژوهش« مرآة التحقيق»:٦: ٢٠٦.

نعم قد بذل ﷺ جهوده الكثيرة في مسألة الإمامة والخلافة الّتي هي من الأُصول عندنا ومن الفروع عند أهل السنّة، حيث إنّ تنصيب الإمام عندهم من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥. تبيين المسائل الخلافية

نحن نعتقد بأنّ الخط الفاصل بين الطائفتين السنَّة والشيعة أمر واحد لا غير، وهو أنّ الشيعي يرى أنّ المرجعية السياسية والعلمية بعد رحلة الرسول ﷺ تعود إلى أئمّة أهل البيت من سلالته، وترى الطائفة الأُخرى خلاف ذلك، هذا هو الفارق الأصيل بين الطائفتين.

وأمّا سائر المسائل فلا تمتّ إلى الخلاف الجوهري بين الطائفتين، فهي إمّا مسائل كلامية أو مسائل فقهية.

مثلاً: المسائل الثلاث الّتي خاض فيها الإمام شرف الدين في دمشق وأقنع المخالف بما يراه الإمامية ليس شيئاً ممّا يختص بالإمامية، فإنّ المعتزلة أيضاً شاركت الإمامية بالتحسين والتقبيح العقليين، وامتناع رؤية الله تعالى في الآخرة، وحدوث القرآن وعدم قدمه، ونظير ذلك المسائل الفقهية فإنّ الشيعي يرى عدم نسخ نكاح المتعة أو بطلان العول والتعصيب، كلّ ذلك خلافات فقهية لا تمت إلى أُصول الدين بصلة.

فكلّ من يريد أن يعمّق الخلاف أو الشقاق فإنّما يتمسّك بالمسائل الكلامية أو الفقهية، أو يتّهم الطائفة بما هم براء عنه براءة يوسف من الذنب الّذي أُلصق به.

وعلى ضوء ذلك بحث السيد شرف الدين بعض المسائل الفقهية الخلافية تبعاً للقدماء من كلتا الطائفتين، فهذا هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفّى سنة ٣١٠هـ) يؤلّف كتاباً باسم «اختلاف الفقهاء»، كما أنّ أبا جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (المتوفّى ٣٢١هـ) ألف كتاباً باسم «اختلاف العلماء»، هذا ما عند السنّة.

وعند الشيعة نرى أنّ السيد المرتضى (٣٥٥ـ ٤٣٦هـ) ألّف كتاباً باسم «مسائل الخلاف في الفقه»، وتبعه تلميذه أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) فألف كتاب «الخلاف في الأحكام»، ذكر فيه آراء الموافق والمخالف بسعة صدره وطول باعه.

إنّ هذه الكتب الّتي قام بتأليفها فطاحل العلماء من الطرفين كانت أداة التقريب بينهما، إذ ما من مسألة إلاّ وللشيعة الإمامية موافق من أحد الطوائف الأربعة أو أحد المذاهب البائدة، ولم يكن لهذه الكتب أي أثر سيّئ.

كما ألّف محمد بن حسن الشيباني (المتوفّى ٢٩٨هـ) كتاباً باسم «الحجة على أهل المدينة» وقد طبع في أربعة أجزاء طرح فيه المسائل الخلافية بين مدرسة الرأي الّذي هو من أعاظم أتباعها ومدرسة أهل الحديث الّتي كان عليها المحدثون في المدينة كمالك وأتباعه، ولم توصف هذه الكتب بشق العصا أو توسيع نطاق الخلاف، لأنّها كانت بحوثاً علمية فكرية توجب تقدّم عجلة الفقه إلى الأمام.

وفي القرن السابع قام أحد الفطاحل من علماء الشيعة الّذي قلّما يتّفق في الزمان أن يسمح بمثله وهو الإمام العلاّمة الشيخ الحسن بن يوسف المطهر الحلّي (٦٤٨ـ ٧٢٦هـ)، قام بتأليف كتابين قيّمين ، وهما:

١. تذكرة الفقهاء.

٢. منتهى المطلب في تحقيق المذهب.

أورد فيهما آراء الصحابة والتابعين والفقهاء، بصدر رحب، ونقلَ دليل كلّ طائفة على رأيه وذكر مذهبه مع دليله.

فنحن نتلقّىٰ هذه الكتب تحقيقاً للفقه و إنارة للمذهب.

فتبعاً لسيرة هؤلاء الأعاظم قام سيدنا شرف الدين بالبحث حول المسائل الفقهية الخلافية، وهو وإن لم يستقصها جميعاً ولكنّه أدلى بمهمات المسائل الخلافية، وألف في ذلك كتاباً طبع باسم: المسائل الفقهية.

وعلى ضوئه سرنا في كتابنا «الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف» فاستقصينا المسائل الخلافية الّتي اشتهرت بها الشيعة الإمامية كالمنع عن مسح الخفين، وغسل الأرجل والّتي لم تتجاوز عن ٢٦ مسألة.

إنّ اختلاف الفقهاء في المسائل العملية نابع عن الاختلاف في المدارك الّتي يعتمدونها في استنباط الأحكام، وكلّ منهم يطلب الوصول إلى الحكم الواقعي بنية خالصة. فرحم الله علماءنا الماضين وحفظ الله الباقين.

ولعلّ اختلافهم كان مثل اختلاف نبي الله داود وسليمان في قصة

الحرث الّتي ذكرها الله سبحـانه في كتابه الكـريم، إذ يقول عنها: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ* فَفَهَّمْنـاهَا سُلَيْمانَ وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْمـاً وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنّا فاعِلِينَ﴾ .(١)

وقد ذكـر المفسرون حكمهما على وجه لا يصـادم عصمتهما، فمن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى التفاسير.

٦. تاسيس منهج لتمييز الصحيح من الأحاديث

إنّ حـديث الرسـولﷺ كـالقـرآن الكـريم حجّتـان عنـد الأُمّـة الإسلامية، غير أنّ القـرآن وحي بلفظه ومعناه، وأمّا حـديث الرسولﷺ فوحي بالمعنى دون اللفظ، وقـد ارتحل الرسول الأكرمﷺ وترك في الأُمّة وديعتين ثمينتين، وهما: كتاب الله وعترته الذين هـم حفظة سنّته ومبلّغو أحاديثه.

غير أنّ تحريم كتابـة السنّة والتحدّث بها في عصر الخلفاء الثـلاثة (خـاصّة الثـاني منهم) أفـرز مشكلةً كبيرة هـي ذهاب كثير من حفظَـة الحديث مع أحـاديثهم دون أن يكتـب أو ينقل، فحلّ محلهم مستسلمـة أهل الكتاب، فروّجوا الإسرائيليـات والمسيحيات والمجوسيات، فتلقّتها الأُمّة علماً ناجعاً ملأوا به كتبهم.

---

١. الأنبياء:٧٨ـ٧٩.

وفي نهاية القرن الأوّل تنبّه عمر بن عبد العزيز إلى الخسارة الفادحة المتوجهة إلى التراث النبوي من ترك كتابة الحديث والتحدّث به، فكتب إلى عامله في المدينة المنورة أبي بكر بن حزم قائلاً: أُنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنّي خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلاّ حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتّى يعلم من لا يعلم، فإنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّاً.[١]

ومع الحثّ الأكيد من جانب الخليفة الأموي لم تكن هناك حركة سريعة بالنسبة إلى هذا الموضوع، إلى أن دالت دولة الأمويين وقامت محلّها دولة العباسيين وأخذ أبو جعفر المنصور بمقاليد الحكم، فعندئذٍ قام المحدّثون بتدوين الحديث عام ١٤٣هـ.[٢]

وفي خلال الفترة الّتي أُهملت فيها (باستثناء شيء يسير) السنّة النبوية كتابة وتحديثاً، دخلت الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات والمكذوبات على لسان رسول الله ﷺ عن طريق تجار الحديث والمستأكلين به، فاحتاج المحقّقون إلى تمييز الصحيح عن غيره، والصادق عن الكاذب بعلم الرجال الباحث عن صفات الراوي ضبطاً وثقةً.

فمن ذلك العصر صار المحور في نقد السنّة في ألسن الرواة

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٢٧، باب كيف يقبض العلم، من كتاب العلم.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٦١.

وتمحيص الأحاديث النبوية هو صفات الراوي، من حيث كونه عادلاً حافظاً ضابطاً مسنداً إلى غير ذلك من الصفات.

ولكن القوم غفلوا عن أنّ هناك طريقاً آخر في جنب الطريق الأوّل وهو نقد مضمون الحديث بأُصول علمية وهي:

١. عرض الحديث على الكتاب.

٢. عرض الحديث على السنّة القطعية المتواترة.

٣. عرض الحديث على العقل الحصيف الّذي به يخاطبنا سبحانه في كتابه، ويحتج به علينا.

٤. عرض الحديث على التاريخ المتواتر المتضافر.

٥. عرض الحديث على ما اتّفق عليه المسلمون.

فإذا كان الحديث مخالفاً لأحد هذه الأُسس القطعية فإنّنا نعلم ضعف الحديث وعدم صدقه وتسرب الوضع إليه من إحدى النواحي دون أن يُتّهم الصحابي أو التابعي أو مؤلّف الكتاب به.

نعم الشرط هو عدم مخالفته، لا موافقته لأحد هذه الموازين، لوجود موضوعات مختلفة حفلت بها الأحاديث الكثيرة، دون أن يرد في القرآن الكريم ـ حسب أفهامنا ـ منها شيء.

فهذا النوع من دراسة الحديث ممّا رسمه سيدنا الراحل في كتابه «أبو هريرة» الّذي نُسب إليه أكثر من خمسة آلاف حديث، مع أنّه لم يدرك من حياة النبي أكثر من ثلاث سنوات.

وهذا النـوع من التحقيق بِكر في بابـه، وقد سار عليه أحـد أعلام مصر ألا وهو محمد الغزالي ، حيث ألّف كتابه «الحديث النبوي بين أهل النقل والفهم» الـذي أثـار ضجـة عند بعض المتحجّـرين، وقـام أئمـة الجمعة والجماعة في بعض المساجد بـالتنديد والتشهير بهذا الكتاب، وما ذلك إلاّ لأنّهم أَلِفوا وأَنِسوا بصحّة عامّة ما في الصحاح والسنن على وجه لا يقبل النقاش.

رحم الله سيدنا الراحل الّذي شق لنا هذا الطريق الّذي سرنا على ضـوئه في كتابنـا «الحديث النبـوي بين الروايـة والـدراية» حيث درسنـا أحاديث ما يربو على أربعين صحابياً ، بعد ذكر نبذة مختصرة عن سيرتهم ونماذج من روائع حديثهم، ثمّ أخذنـا بالأحاديث الزائفة المخـالفة لأحد هـذه الأُسس دون أن نتّهم الصحـابي أو التـابعي بشيء، وانّما اتّهمنـا مضمون الحديث بالوضع والدس، وممّا ذكرناه في هذا الكتاب أُنموذج لما لم نذكر، وإلاّ فهـذا النوع من التحقيق يحتاج إلى دراسة منهجيـة موسّعة تقوم بمهامه لجنة عالمة بأُصول التحديث وقواعده.

٢

رسائل متبادلة بين العلمين:
عبد المتعال الصعيدي و السيد شرف الدين
حول كتاب «أبي هريرة»

لما صدر كتاب «أبو هريرة» للإمام شرف الدين إلى الأسواق، والذي سلك فيه مسلكاً جديداً في تقييم الأحاديث النبوية كما عرفت؛ أثار اهتماماً كبيراً لدى المحدّثين والباحثين، لأنّ هذا النوع من الدراسة كان يُعدّ شيئاً غير مألوف في وقته باعتباره يمثّل خطوة جريئة في مجال إزاحة الستار عن وجه الحقيقة، إذ أثبت بوضوح انّ قسماً كبيراً ممّا روي عن أبي هريرة موضوع لا تصحّ نسبته إلى رسول الله ﷺ.

وقد قام عبد المتعال الصعيدي بنقد الكتاب في مقالات ثلاث نشرت في مجلة «الرسالة» الصادرة في القاهرة، وقد أجاب السيد شرف الدين عن نقد الكاتب بالترتيب، و كان ردّه صارماً وواضحاً لكلّ من طالع النقد والرد.

ونحن بدورنا ننشر نصوص النقد والرد وردودهما كما وردت بدون تغيير .

«أبوهريرة» (١)

تأليف : الأُستاذعبد الحسين الموسوي العاملي
بقلم : الأُستاذ عبدالمتعال الصعيدي

اسم كتاب ألفه الأُستاذ الفاضل عبد الحسين الموسوي العاملي ، وهو من الشيعة المقيمين بالشام ، وقد أراد أن يدرس أبا هريرة درساً علمياً بريئاً من التعصب المذهبي ، ولكنّه لم يكد يفتتح كتابه حتى وقع فيما فرّ منه ، وابتدأ من أوّل صفحة كتاباً لا ينظر إلى أبي هريرة في ذاته ، وإنّما ينظر إليه كشخص يقدسه أهل السنّة المخالفون له في الغلو في التشيع ، لأنّا معشر أهل السنّة نتشيع لعلي وأهل بيته رضي الله عنهم ، ونسلك في ذلك مذهباً وسطاً بين المغالين في التشيع لهم ، والذين يكرهونهم من الخوارج ونحوهم ، وقد قال علي رضي الله عنه : خير هذه الأُمة النمط الأوسط ، يلحق بهم التالي ، ويرجع إليهم الغالي .

فقد ذكر المؤلّف أنّ الذي أوقع أهل السنّة في الرضا عن أبي

١ . مجلة الرسالة، العدد٧١٥، السنة ١٥، المؤرخة١٧/ ٣/ ١٩٤٧م، الصفحة٣٢٣.

هريرة إنّما هو مذهبهم في تعديل كلّ صحابي، واعتقاد أنّ الصحبة عصمة لا يمسّ صاحبها بجرح وإن فعل ما فعل، ثمّ ذكر انّ الصحبة فضيلة جليلة ولكنّها غير عاصمة، وأنّ الصحابة كان فيهم العدول والأولياء والأصفياء والصديقون، وكان فيهم مجهول الحال، وكان فيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تعْلمهم نَحْن نَعْلمهُم﴾ فعدولهم حجة، ومجهول الحال نتبين أمره، وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا لحديثهم، وقد درس المؤلف أبا هريرة على هذا الأساس ليثبت أنّه كان منافقاً كذاباً مجرماً، فيكون عنده من الفريق الثالث الذي عدّه من الصحابة، ولا يكون هناك وزن له ولا لحديثه.

ونحن معشر أهل السنّة لا نعتقد أنّ الصحبة عصمة، لأنّه لا عصمة عندنا إلاّ مع وحي ونبوة، والشيعة هم الذين يقولون بوجود العصمة بعد النبوة، فالمؤلف فيما رمانا به من هذا على حدّ قولهم في أمثالهم: رمتني بدائها وانسلّت.

فالصحابة عندنا رجال كسائر الرجال، يصيبون كما يصيبون، ويخطئون كما يخطئون، ولهذا كان مذهب الصحابي ليس حجة عند جمهور أهل السنة، وكان الشافعي فيما أظن إذا خالف مذهبه مذهب الصحابي يقول: هم رجال ونحن رجال فالصحابي قد يخطئ في رأيه، وقد يخونه سمعه فيخطئ فيما يرويه عن النبي ﷺ، وأهل السنّة يجيزون

تخطئة الصحابي فيما يقع فيه من الخطأ، لا فرق في ذلك بين أبي هريرة وغيره من أصحاب النبيﷺ، ولكنّهم لا يجيزون تجاوز ذلك إلى الطعن في دينهم، ورميهم بما رمى به المؤلف أبا هريرة من أنّه كان منافقاً مجرماً كذاباً، لأنّ النبيّ ﷺ مات وهو راض عن أصحابه، ونحن نكرمه برضانا عمن رضى عنه، وبالتأدّب في حقّه وعدم الطعن عليه في دينه، وقد كان أبو هريرة من ألصق الأصحاب بالنبيﷺ، فيهمنا أن يكون رضاه عنه في موضعه، وألا يكون رضاه عن منافق كان يخدعه في دينه، ولنخطئ أبا هريرة بعد ذلك فيما يثبت عليه أنّه أخطأ فيه، مع صون اللسان عن السب والشتم والطعن في الدين، فليس هذا السب من النقد الصحيح في شيء، ولا من أدب الجدال في الدين والعلم، وقد نهانا الله عن ذلك في جدالنا مع من يخالفنا في الدين، فقال تعالى في الآية، ١٠٨ من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، و قال تعالى في الآية ٤٦ من سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إِلاّ بِالّتي هِي أَحْسَن﴾، والمسلم أحقّ بذلك مع المسلم.

وقد ثبت أنّه كان هناك رواة يضعون الحديث على أبي هريرة، ومنهم إسحاق بن نجيح الملطي، وعثمان بن خالد العثماني، وابنه

---

١. دراسة أحاديث الصحابي وعرضها على الكتاب والسنّة المتواترة والمتضافرة و إجماع المسلمين والتاريخ الصحيح لا يمتّ إلى السبّ بصلة، فاتهام السيد شرف الدين ﷺ بالسب صدر غفلة عن معنى السب.

محمد، وهو الـذي روى عن أبي هريرة أنّه دخل علـى رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان بن عفان وبيدهـا مشط، فقالت خرج رسول الله ﷺ من عندي آنفاً رجّلت شعره، فقال لي: كيف تجدين أبا عبد الله ـ يعني عثمان ـ قلت: بخير، قال: أكرميه، فإنّه من أشبه أصحابي بي خلقاً. وهذا حديث باطل، لأنّ رقية ماتت في غزوة بدر، وأبو هريرة إنّما أسلم بعـد فتح خيبـر، فلنحمل مثل هـذا على أولئك الـرواة، ولا داعي إلى الطعن في أبي هريرة.

***

ولمّا قرأ الإمام السيد شرف الـدين النقد المذكور كتب رداً عليه وإليك نصّه:

كتاب «أبو هريرة»[1]

نشرت مجلتكم الغراء «الرسالة» ـ في عددها ٧١٥ ـ كلمة للأُستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي حول كتابي «أبوهريرة» فأبرأته ممّا نال مني ولم أتعقبه فيما أفرط فيه من التمويه والمغالطة.

ولكن البحث العلمي فرض عليّ أن أمعن في قـوله: «وقد ثبت أنّ هنـاك رواة يضعـون الحديث على أبي هـريـرة ومنهم إسحـاق بن نجيح الملطي وعثمان بن خـالـد العثماني وابنـه محمد وهـو الـذي روى عن أبي

١. مجلة الرسالة، العدد٧١٨، السنة ١٥، المؤرخة٧/ ٤/ ١٩٤٧م، الصفحة٤٠٩.

هريـرة أنّه دخل على رقيـة بنت رسول الله امـرأة عثمان بن عفان وبيـدها مشط فقـالت خرج رسـول الله من عنـدي آنفـاً رجلت شعره. فقـال لي: كيف تجدين أبا عبد الله ـ يعني عثمان ـ قلت: بخير. قال: أكرميه فإنّه من أشبه أصحابي بي خلقـاً.[قال:] وهذا حديث بـاطل، لأنّ رقية ماتت في غزوة بدر وأبو هريـرة إنّما أسلم بعد فتح خيبر [قال]: فلنحمل هذا على أُولئك الرواة ولا داعي إلى الطعن في أبي هريرة».

قلت: لا يمكن حمله على أُولئك الرواة من وجهين:

١ . ثبـوته عن أبي هـريرة بـالسند المتصل الصحيح وقـد أخرجـه وصححـه الحافظ الكبير إمام المحـدثين أبـو عبـد الله محمد بن عبـد الله الحاكم النيسابوري في كتـاب معرفة الصحابة أثناء ذكـر وفاة رقية ودفنها في ص ٤٨ من الجزء ٤ من المستدرك وأورده الـذهبي في تلخيصه معترفاً بصحة سنده وإنكار متنه.

٢ . أمعنا في البحث عن سند هذا الحـديث فلم نجد أحداً قبل اليوم زعم أنّه يـروى من طريق محمد بن عثمان بن خـالد. وإنّما روي بسندين لا ثالث لهما أوردهما الحاكم، وليس في واحد منهما إسحاق بن نجيح الملطي ولا عثمـان بن خالـد ولا ابنـه محمد فكيف نحملـه عليهم والحال هذه يا منصفون؟!

وليت الشيخ يدلنا على مأخذه فيما حمله على محمد بن عثمان بن خالد العثماني إذ قال: وهو الذي روى عن أبي هريرة أنّه دخل على رقية وبيدهـا مشط الخ، ومتى فعله كنا له شـاكرين وسدد الله من أمعن

في نقـد كتـابي بنصح فنبهنـي إلى أخطـائي محـرراً للحق مجـرداً من سواه.

عبد الحسين شرف الدين

***

هـذا وقد حـاول عبد المتعـال الصعيـدي تصحيح ما أخطأ فيـه فكتب مقالاً موجزاً جواباً للسيد، هذا نصّه:

حول أبي هريرة [١]

كتبت كلمة نقد لكتاب أبي هريرة سلكت فيها جادة الإنصاف، ووضعت توجيهاً جديداً لدراسة أبي هـريرة دراسة عادلة، ولكن هذا لم يعجب صـاحب الكتـاب، ولم يعجـب بعض إخـوانـنا من الشيعـة، فحملوا عليّ في بعض جـرائدهم حملة ظالمة، وقـد ردّ عليّ صاحب الكتـاب بكلمة في «الـرسالـة» لم يأت فيها بشيء نحـو ذلك التوجيـه الجـديد في دراسـة أبي هريـرة، ولـم يجد فيمـا يأخذه عليّ إلاّ إسنـاد حديث دخول أبي هريرة على رقية إلى محمد بن خالد بن عثمان، وقد كنت ذكرت معه بعض أسماء من كان يضع الأحاديث على أبي هريرة، فسقط في الطبع بعض هـذه الأسماء[٢]، وترتّب على هـذا إسناد ذلك

---

١. مجلة الرسالة، العدد ٧٢٥، السنة ١٥، المؤرخة ١٦/ ٥/ ١٩٤٧م.

٢. نظن بالكاتب حسناً، لما ورد: ضع أمر أخيك على أحسنه.

الحديث إلى محمد بن خالد . والحقيقة أنّه من وضع غيره لا من وضعه ، وقد ورد هذا الحديث بروايتين في مستدرك الحاكم ، جاء في إحداهما محمد بن أحمد بن سعيد الرازي ، وهو من الضعفاء ، والمطلب بن عبد الله ، وهو من الضعفاء أيضاً ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقد ضعفه النسائي والبخاري .

وجاء في الرواية الثانية عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه ، وهو قصاص لا يعتمد عليه ، وقد ذكر أحمد بن حنبل أنّه كان يكذب على وهب بن منبه ، وذكر البخاري أنّه ذاهب الحديث .

فلم يبق إلاّ تصحيح الحاكم لسند هذا الحديث ، ولا شكّ أنّ تصحيحه له يشمل أبا هريرة أيضاً ، فلا يصحّ لصاحب كتاب أبي هريرة أن يعتمد عليه في رأيه فيه ، وقد قال الحاكم عقب هذا الحديث : ولا أشك أنّ أبا هريرة رحمه الله تعالى روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابة أنّه دخل على رقية رضي الله عنها ، لكنّي قد طلبته جهدي فلم أجده في الوقت ، وهذا هو الإنصاف الذي يجب أن يدرس به أبو هريرة وغيره .

وقد جاءني من حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمجوني أنّه وجد هذا الحديث في كتاب التاريخ الصغير للبخاري (ص ١٠٠) وأنّه ذكر إسناده إلى المطلب بن عبد الله عن أبي هريرة ، ثم قال : ولا يعرف للمطلب سماع من أبي هريرة ، ولا تقوم به الحجة ، فأعلّه بالانقطاع . وقد ذكر هذا الأُستاذ الفاضل أنّ الحاكم يروي في كتبه ما لا

يعقل، وقد طعن في بعض أحـاديثه الإمام السيوطي في كتـابه (اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعـة) وكذلك طعن فيه صاحب كتاب (الصارم المنكي). وذكر الشيخ عبـد العزيز الخولي في كتـابه (مفتاح السنة) أنّ فـي المستدرك للحاكـم كثيراً من المـوضوعات، وطعـن فيه صاحب المنار في المجلد السادس منها، والشيخ طاهر الجزائري في كتابه (توجيه النظر إلى أُصول الأثر).

وما كان أحـرى صاحب كتاب أبي هريرة أن يتنـاول دراسته بهذا التوسّع الـذي يجده في دراسة هذا الحـديث، ويثبت منه أنّه مـوضوع على أبي هريرة، لا أنّ أبا هريرة هو الذي وضعه على النبيﷺ.

عبد المتعال الصعيدي

***

وقد أجاب السيـد على هذا التصحيح بمقال أكثـر تفصيلاً وهذا نصّه:

أبو هريرة والصعيدي[1]

كـان الأُستاذ عبـد المتعال الصعيـدي نشر ـ في العـدد ٧١٥ من الرسالة الغراء ـ كلمة حول كتابنا «أبو هريرة» فأجبناه بها نشرته الرسالة ـ في عددها ٧١٨ ـ جنحنا في جوابه إلى الدعة لا نسأله عن شيء ممّا غالط

١ ـ مجلة الرسالة، العدد٧٢٤، السـنة ١٥، المؤرخة١٩/ ٤/ ١٩٤٧م، الصفحة٥٧٥.

به أو غلط فيه كالعصمة التي حمل بها حملته على غير روية، فإنّ العصمة من الذنوب ـ التي تثبتها الإمامية للأنبياء وأوصيائهم ـ شيء، والعصمة من الجرح المسقط لعدالة المجروح ـ التي يثبتها أهل السنة لكلّ صحابي ـ شيء آخر.

واليوم وافانا العدد ٧٢١ من الرسالة فإذا به يعترف بالغلط في نسبة وضع الحديث إلى محمد العثماني المذكور فقال: والحقيقة أنّه من وضع غيره لا من وضعه.

ثمّ ضعف سنده بما لا تتنزّه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح، على أنّه لم يستند في تضعيفه إلى أئمة الجرح والتعديل وإنّما أرسل تضعيفه كسائر مرسلاته.

ونحن نستند في تصحيحه إلى إمامين مسلّمي الإمامة في الجرح والتعديل عند أهل السنّة، حجّتين عندهم في السنن لا يدافعان، الحاكم في المستدرك، والذهبي في تلخيصه (ص ٤٨ من الجزء الرابع).

والأُستاذ لا يجهل دأب الذهبي في تعقّب الحاكم وإفراطه بتضعيف كثير من صحاح المستدرك وإسقاط بعضها بأقل شبهة، لكنّه مع ذلك لم يتعقبه في هذا الحديث بل صرح بصحّته عن أبي هريرة. فقال: صحيح منكر المتن، فإنّ رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر.

وما كان الذهبي ولا الحاكم مع حسن ظنهما بأبي هريرة ليثبتا عنه هذا الباطل لو وجدا إلى حمله على غيره سبيلاً، لكنّها الأمانة لا

يحمل وزرها إلاّ من (كان ظلوماً جهولاً).

وقد حاول الحاكم صرف الباطل عن أبي هريرة ـ كما جاء في كلمة الأُستاذ ـ لكنّه لم يفلح.

نقل الأُستاذ أنّ كلاً من الإمام السيوطي و الشيخ الخولي وصاحب المنار والشيخ الجزائري طعنوا في بعض أحاديث المستدرك ونحن نقول: إنّهم طعنوا في البعض من حديثه، لكنّهم لم يذكروا هذا الحديث بسوء، ولو كان ضعيفاً لنبّهوا إلى ضعفه، ولو كان من الأحاديث الموضوعة لنظمه السيوطي وغيره في سلك الموضوعات، ما علمنا أحداً من أئمّة الحديث فعل ذلك.

أمّا ما نقله الأُستاذ عن الفاضل الجمجوني ـ من انقطاع الحديث، لأنّ المطلب بن عبد الله لا يعرف له سماع عن أبي هريرة ـ ففيه نظر، وقد قيل: إنّ الذي لم يدرك أبا هريرة إنّما هو المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب، وراوي الحديث إنّما هو المطلب بن عبد الله بن حنطب، فهما ـ على الأصحّ ـ اثنان يروي الأوّل منهما عن أنس وجابر وابن عمر وعائشة وأبي هريرة، وروى عنه الأوزاعي وعمرو بن أبي عمر، وقد وثقه أبو زرعة والدارقطني وحديثه ثابت في السنن الأربعة وغيرها.

وهب أنا صرفنا النظر عن هذا الحديث ولوازمه الباطلة فما رأي الأُستاذ وسائر المنصفين فيما يلزم أبا هريرة من أحاديثه الثابتة عنه في الصحيحين؟ وحسبهم منها ما اشتمل عليه كتابنا «أبو هريرة» في

جميع فصوله فليمعن به الأُستاذ، وليدع توجيهه الجديد جانباً وليسلك جـادة العلمـاء المنصفين ﴿الّذينَ يَسْتَمِعُـون القَوْلَ فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَنَه﴾ والذي دعـانا إلى هذا إنّمـا هو الـذود عن السنّة المقدّسـة والغيرة على الإسلام والمسلمين بتمحيص الحق المتصـل بحياتنا العلميـة والعقلية اتصالاً مباشراً، إن أُريد إلاّ الإصلاح ما استطعت.

صور ـ لبنان

عبد الحسين شرف الدين

***

وبـذلك تمت النقـود والـردود الأربعة ولكن الأُستـاذ الصعيـدي حاول أن يحرز الفـوز في هذه المساجلة، فكتب رسالـة مختصرة هذا نصّها:

كلمة أخيرة في أبي هريرة [١]

قرأت ما كتبه الأُستاذ عبد الحسين شرف الدين في العدد ٧٢٤ من مجلة الـرسالة، فـوجدته يـدّعي أنّا معشر أهل السنّة نـذهب إلى عصمة الصحابـة من الجرح المسقط لعدالة المجـروح، وهذا ليس بصحيح، لأنّ العصمة خـاصة عندنا بـالأنبياء، وعدالـة الصحابة عندنـا لا ترجع إلى عصمتهم، لأنّه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم، وإنّما تـرجع إلى ما كان

١ . مجلة الرسالة، العدد ٧٢٥، السنة ١٥، المؤرخة ١٦/ ٥/ ١٩٤٧م.

من تحرزهم في دينهم، وما يأخذه أخواننا من الشيعة عليهم يرجع إلى رأيهم في الخلافة، ومثل هذا لا تسقط به عدالة.

ثمّ وجدته يعود إلى حديث دخول أبي هريرة على رقية، وإلى تصحيح الحاكم لسنده، مع أنّ البخاري أعله بالانقطاع، ومع أنّي أثبت له ضعف هذا السند في روايتي الحاكم، واعتمدت في هذا على كتاب ميزان الاعتدال للذهبي، وقد ذكر الأُستاذ أنّي ضعفت هذا السند بما لا يتنزّه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح، وفاته أنّه يكفر أبا هريرة بهذا الحديث ويتهمه بوضعه، ولا يصحّ تكفير مثل أبي هريرة إلاّ إذا لم يكن مطعن ما على غيره، فإذا كان هناك مطعن ما على غيره لم يصحّ تكفيره، لأنّ التكفير لا يثبت إلاّ بقاطع فيه.

على أنّ تصحيح الحاكم لسند ذلك الحديث لا يفيد الأُستاذ فيما يريده من إثبات وضعه، ومن أنّ واضعه أبو هريرة، لأنّ الحديث الذي يصحّ سنده دون متنه لا يكون موضوعاً، وإنّما يكون في متنه غلط أو نحوه، كما تقرر هذا في علم مصطلح الحديث، أمّا طلب الأُستاذ أن ينظر في غير هذا الحديث من كتابه فيمنع منه أنّ مجلة الرسالة لا تتسع له.

عبد المتعال الصعيدي

***

وقد قمت بوظيفة الأمانة في نقل المقالات نقداً ورداً ولكن بما أنّ

الحقيقة بنت البحث نعلّق على المقال الأخير للأُستاذ عبد المتعال الصعيدي حتى يتضح انّ ما أنكره من عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح من الأُصول الثابتة عند غير واحد من رجال الجرح والتعديل.

١. انّ إنكار عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح، في غير محلّه، وهذا هو ابن الأثير يقول: «والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلاّ في الجرح والتعديل، فإنّهم كلّهم عدول لا يتطرّق إليهم الجرح». [١]

وقال الحافظ ابن حجر في الفصل السادس من الإصابة، نقلاً عن زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنّه زنديق وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى إلينا ذلك كلّه الصحابة وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة. [٢]

٢. إن جرح الراوي سواء أكان صحابياً أم لا، لا يمت إلى تكفيره بصلة، فإنّ التكفير يتعلق بإنكار التوحيد ورسالة النبي الخاتم واليوم الآخر، وأمّا القول بأنّ (فلان) الصحابي، كذب على رسول الله، فلو كان صادقاً وكان الجرح بنية سليمة كان مأجوراً، لأنّه عرّف

١. أُسد الغابة: ٢/ ٣.

٢. الإصابة: ١/ ١٧.

للأوساط العلمية من يجب التحرز عنه في أخذ معالم الدين وفروعه وأُصوله. وإن كان كاذباً في جرحه يُعدّ مأثوماً ويعاقب على كذبه.

فالتركيز على أنّ السيد شرف الدين بصدد تكفير أبي هريرة أمر خاطئ وبعيد عن الصواب. وقد روي عن النبي الأكرم ﷺ انّه قال: «كثرت الكذابة عليّ»[1] ووصف عدة ممّن كان حوله بالكذابة فهل كفّرهم النبيﷺ؟

دفاع عن الحقّ والحقيقة

انتقل العلمان الجليلان: الأُستاذ عبد المتعال الصعيدي، والإمام شرف الدين إلى رحمة الله الواسعة ولا نظن بهما إلاّ خيراً، ولا نقول فيما تبادلاه من المساجلات، إلاّ انّه محاولة لنصرة الحقّ، وكشف لوجه الحقيقة، فللمصيب منهما أجران وللمخطئ أجر واحد.

وانطلاقاً من هذا المبدأ، ـ وشهيدي الله ـ نذكر وثائق قيّمة تُثبتُ بوضوح، انّ الحقّ مع الإمام شرف الدين وانّ أبا هريرة لم يكن راوياً متثبّتاً، متحرزاً عن القول بغير علم، ولا مكترثاً عن نسبة قول إلى النبي الأعظم مع عدم سماعه منه، أو سماعه من غيره، وربما كان يعتذر عن بعض زلاته وغفلاته بأنّه من كيس أبي هريرة لا من النبي الأعظم، غفر الله لنا وله. وإليك تلك الوثائق:

---

١. الإفصاح للشيخ المفيد: ٦٠؛ الاستنصار للكراجكي: ١١؛ الصراط المستقيم للعاملي: ٣/ ٢٥٨.

١ . أخرج غير واحد من المؤرّخين والمحدّثين، عن السائب بن يزيد انّه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتتركنّ الحديث عن رسول الله وإلاّ لألحقنّك بأرض الدوس. [١]

وقال لكعب: لتتركنّ الحديث أو لألحقنّك بأرض القردة. [٢]

لم يكن الخليفة مانعاً عن التحديث بقلة، ولذلك كان يقول: «أقلّوا الرواية عن رسول الله »وإنّما خالف أبا هريرة في تكثيره.

٢ . روى ابن عجلان أنّ أبا هريرة، كان يقول: إنّي لأحدِّث أحاديث لو تكلّمت بها في زمن عمر، لشجّ رأسي.

٣ . روى الشعبي قال: حدث أبو هريرة فسرد عليه سعد حديثاً، فوقع بينهما كلام حتى ارتجّت الأبواب.

٤ . روى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: دخل أبو هريرة على عائشة، فقالت له: أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: أي والله يا أُمّاه، ما كانت تشغلني عنه المرآة، ولا المِكْحَلةُ، ولا الدهن، قالت: لعلّه.

٥ . لما أرادوا أن يدفنوا الحسن في الحجرة النبوية وقع خصام.

قال الوليد بن رباح: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت وال، وانّ الوالي لغيرك، فدعه ـ يعني حين أرادوا دفن الحسن عليه السلام مع رسول الله ﷺ ـ ولكنّك تدخل فيما لا يعنيك، إنّما تريد إرضاء من هو

١ و ٢. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠١.

غائب عنك ـ يعني معاوية ـ.

فأقبل عليه مروان مغضباً، وقال: يا أبا هريرة، إنّ الناس قد قالوا أكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ﷺ وإنّما قدم قبل وفاته بيسير. [١]

٦.أخرج البخاري عن أبي صالح، قال: حدّثني أبو هريرة، قال: قال النبي ﷺ: أفضل الصدقة ماترك غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إمّا أن تطعمني و إمّا أن تطلقني.

ويقول العبد: اطعمني واستعملني.

ويقول الابن: اطعمني إلىٰ من تدعني؟

فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟!

قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة. [٢]

ورواه الإمام أحمد في مسنده باختلاف طفيف في اللفظ. [٣]

انظر إلى الرجل ينسب في صدر الحديث الرواية إلى النبي ﷺ بضرس قاطع، ولكنّه عندما سُئل عن سماع الحديث من رسول الله ﷺ عدل عمّا ذكره أولاً، وصرح بأنّه من كيسه الخاص أي من موضوعاته.

وبعد هذا فهل يصحّ توثيقه؟!

---

١. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠٥.

٢. صحيح البخاري: ٧/ ٦٢، ٦٣، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال من كتاب النفقات.

٣. مسند أحمد: ٢/ ٢٥٢.

هذه النصوص تعرب عن أنّ الرجل كان متهماً في عصره، وإن كان هو يبرّر عمله بأنّ الآخرين كانوا منشغلين بالصفق في الأسواق أو بالمرآة والمكحلة والدهن، ولكن كان في القوم من لم يكن له ذلك الشأن، كعلي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأُبيّ بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو، إلى غير ذلك من أقطاب الحديث، الذين كان لهم شغف بنقل الحديث وضبطه وتحديثه، ومع ذلك لم يبلغ حديث أكثرهم معشار ما نقله أبو هريرة.

كان أبو هريرة يجلس إلىٰ حجرة عائشة فيحدِّث، ثمّ يقول: يا صاحبة الحجرة، أتنكرين مما أقول شيئاً؟

فلما قضت صلاتها، لم تُنكر ما رواه، لكن قالت: لم يكن رسول الله ﷺ يسرد الحديث سردكم.

وكذلك قيل لابن عمر: هل تنكر مما يحدِّث به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنّه اجترأ، وجبُنّا.

فقال أبو هريرة: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا. [1]

قال ابن عساكر: إنّ رجلين من بني عامر دخلا على عائشة، فقالا لها: إنّ أبا هريرة يقول: إنّ الطيرة في الدار والمرأة والفرس، فقالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ﷺ ما قاله إنّما قال: كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك.

---

١. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠٧.

وعن عـائشة انّها قـالت لأبي هـريرة: إنّك تحدّث عن رسـول الله أشيـاء مـا سمعتهـا منه؟! فقـال لها مجيبـا: إنّـه كـان يشغلك عن تلك الأحاديث، المرآة والمكْحلة. (١)

هذه النصوص توقفك على حقيقة الحال وانّ الرجل كان متّهماً في روايتـه في عصره، ولكن القـول بعـدالة الصحـابـة وتـرفّعهم عن الجرح والتعديل حال بين المحقّقين والتحقيق في رواياتـه ومروياته، ولولا ذلك لما أخذوا بكثير ممّا عزاه إلى النبي ﷺ.

التحديث بنصف ما حفظه

يظهر ممّا رواه أبـو هريرة انّه إنّما حـدَّث بنصف ما وعاه عن النبي ﷺ وحبس النصف الآخر لأنّ الظروف لم تساعد لبثّه.

روى البخـاري، عن المقبُري، عن أبي هريـرة، قـال: حفظت من رسول الله وعـاءين، فأمّـا أحدهما فبثثتـه وأمّا الآخر فلـو بثثته قطـع هذا البلعوم. (٢) فلو أسعفته الظروف وحدّث بالنصف الآخر، لبلغت أحاديثه عشرة آلاف.

التدليس في الحديث

قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة، يقول: كان أبو هريرة يدلّس.

---

١. مختصر تاريخ ابن عساكر: ٢٩/ ١٩٥ـ١٩٦.

٢. صحيح البخاري: ١/ ٣١، باب حفظ العلم من كتاب الايمان.

وذكره ابن عساكر في تاريخه والحافظ ابن كثير في البداية. [1]

ولما كانت شهادة شعبة تحطُّ من مكانة أبي هريرة عاد الذهبي ناقضاً للقاعدة، فقال:

قلت: تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه، فإنّ تدليسهم عن صاحبٍ أكبر منهم، والصحابة كلّهم عدول.

وأنت خبير بأنّ التدليس من أسباب الضعف، فكيف صار هناك من أسباب الفخر، حيث قال: إنّ تدليسهم عن صاحب أكبر منهم.

وقد أشار الحافظ ابن كثير في البداية إلى تفسير كلام شعبة، بقوله: وكان شعبة يشير بهذا إلى حديث: «من أصبح جنباً فلا صيام له» فإنّه لما عوتب عليه، قال: أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله ﷺ.

وأيّ تدليس كان أعظم من ذلك؟ بل كان ينسب ما سمعه من كعب الأحبار إلى النبي ﷺ، وهو من أسوأ التدليسات، وها نحن نوقفك على نموذج من هذا النوع من التدليس الذي كان يرتكبه أبو هريرة.

روى الطبري عن أبي نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس سمعت العجب من كعب الحبر يذكر في الشمس والقمر.

قال: وكان متكئاً فاحتفز، ثمّ قال: وما ذاك؟ قال: زعم انّه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران فيُقذفان في جهنم.

---

١. انظر سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠٨، قسم التعليقة.

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووضعت أُخرى غضباً ، ثمّ قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذِّب علىٰ طاعته، ألم تسمع قول الله تبارك و تعالى ﴿وَسخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دائبَيْنِ﴾ إنّما يعني دؤوبهما في الطاعة، فكيف يعذِّب عبدين يُثني عليهما انهما دائبان في طاعته؟! قاتل الله هذا الحبر وقبّح حبريته، ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله.

قال: ثمّ استرجع مراراً وأخذ عُوَيداً من الأرض فجعل ينكته في الأرض، فظلّ كذلك ما شاء الله، ثمّ إنّه رفع رأسه ورمىٰ بالعويد، فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما فقلنا: بلىٰ رحمك الله.... [1]

وهذا النسج الخرافي للقصة التي حاكتها مخيّلة كعب وأضرابه، رواها أبو هريرة مباشرة عن النبي ﷺ.

روى ابن كثير في تفسير سورة التكوير:

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمان بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد، مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه، فحدث، قال: حدثنا أبو هريرة: إنّ

---

١. تاريخ الطبري: ١/ ٤٤.

رسول الله ﷺ، قال: إنّ الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة، فقال الحسن: وما ذنبهما؟

فقال: أُحدّثك عن رسول الله ﷺ وتقول أحسبه، قال: وما ذنبهما. [1]

ترى أنّ حديثاً واحداً يرويه رجل عن كعب، وفي الوقت نفسه يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، فبما انّ كعباً لم يدرك النبي ﷺ لم يستطع أن ينسبه إليه، وبما انّ أبا هريرة أدرك عصر الرسالة أخذ بالتدليس فنسب ما سمعه عن كعب إلى النبي ﷺ.وأيّ تدليس أسوأ من ذلك؟ وليس هذا إلاّ من مقولة الكذب المنافي للعدالة.

وممّا يقضى منه العجب ما ذكره أبو جعفر الطحاوي لتصحيح هذا الأثر حيث قال: إنّ الشمس والقمر كالملائكة الموكّلين لأهل النار، معذِّبان لأهل النار لا معذَّبان فيها، إذ لا ذنوب لهما .[2]

يلاحظ عليه: أنّ التفسير خلاف ما فهمه المخاطبون بهذا الحديث، مضافاً إلى أنّه لا يناسب قوله: «عقيران» وما العقر إلاّ لتعذيبهما.

وحيث إنّ أهل السنّة ذهبوا إلى عدالة الصحابة بأجمعهم أخذوا بروايات أبي هريرة وأمثاله دون أدنىٰ تحقيق، و إذا فتشوا عن اسناد

---

١. تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٢١، تفسير سورة التكوير.

٢. مشكل الآثار: ١/ ٤٨.

الرواية فإنّما يفتشون عمّن ورد اسمه قبل الصحابة، فإذا وصل الكلام إليهم يكسر القلم ويُضبط اللسان فلا كلام فيهم و إن صدر عنهم ما صدر.

وفي الختام، ندعو كلّ من يكتب حول فرقة أو فئة من المسلمين، أو في موضوع من المواضيع الإسلامية، أن يفكر في نتائج ما يكتب وينشر، وهل هو في صالح المسلمين أو لا؟! ومع ذلك فتمحيص الحديث النبوي من أفرض الفرائض، وقد وقع ذريعة بأيدي المستشرقين للطعن بالنبي الخاتمﷺ وشريعته وسننه.

وقد قام السيد بهذا العبء الثقيل في إطار خاص، وهو بذلك قد فتح الطريق للآخرين.

نسأل الله سبحانه أن يرزق المسلمين توحيد الكلمة، كما رزقهم كلمة التوحيد.

وشهد شاهد من أهلها

قد عثرت أخيراً على كتاب بعنوان: «نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث» للكاتب السوري: إسماعيل الكردي والذي طرح بعض ما روي عن أبي هريرة على طاولة البحث، وأدّى حق المقال ونحن نذكره برمّته، ليكون حجّة لمن يتهم الشيعة، بالحقد وهل له أن يتهم كلّ من كتب حول روايات أبي هريرة من تمحيص ونقد، بالحقد قال:

أ. أبو هريرة وروايته عن كعب الأحبار وتدليسه عنه

لقد مرّ معنا ما ذكره بعض المحدّثين، ومنهم الإمام البيهقي والإمام البخاري، في ردِّهم لحديث «خلق الله التربة يوم السبت» الذي أخرجه مسلم، بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً، حيث قالوا: إنّ الصحيح أنّه موقوف على كعب[1] وأنّه غلط، ليس ممّا رواه أبو هريرة عن النبي، وأنّه ممّا أنكر الحذاق على مسلم إخراجه إياه[2]. فيبدو أنّ مثل هذا حدث كثيراً عمّن رووا عن أبي هريرة، أي أنّه روى قصصاً وأحاديث سمعها من بعض مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما، فظن السامع منه والراوي عنه أنّه سمعها عن رسو ل الله!

وقد ذكر الحافظ الذهبي (٧٤٨هـ) في موسوعته الرجالية الضخمة «سير أعلام النبلاء» في ترجمته لأبي هريرة ما نصّه: «وقال بكير ابن الأشج عن بسر بن سعيد قال: اتقوا الله، وتحفّظوا في الحديث، فوالله لقد رأيتُنا نجالس أبا هريرة، فيحدِّث عن رسول الله، ويحدِّثنا عن كعب

---

١. أي كعب الأحبار الذي كان من أحبار اليهود في اليمن، ثمّ دخل في الإسلام بعد وفاة النبي، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس أصحاب محمد فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب ، وممّن تتلمذ عليه، وأخذ عنه أخبار أهل الكتاب: أبو هريرة وابن عباس، (سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٨٩ـ ٤٩٠). وكان عمر ينهاه عن التحديث، ويهدده بإرجاعه لأرض القردة (أي اليمن التي جاء منها)!

٢. راجع الفصل الخامس (أحاديث انتقد محدثون حفاظ متونها): الحديث الثاني: خلق الله التربة يوم السبت.

(أي اليهودي المسلم كعب الأحبار)، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا، يجعل حديث رسول الله عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله!».[1]

وقال محقّق «سير أعلام النبلاء» الأُستاذ شعيب الأرناؤوط معلّقاً على هذا الخبر في الحاشية: «أورده ابن كثير في البداية والنهاية: ج٨/ ص ١٠٩[2]، من طريق مسلم بن الحجاج، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن مروان بن محمد بن حسان الدمشقي عن الليث بن سعد عن بكير بن الأشج. وهذا سند صحيح. وهو في تاريخ ابن عساكر: ١٩/ ١٢١/ ٢.» اهـ.

وبعد أن روى ابن كثير تلك الرواية أتبعها بقوله: «وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلِّس، أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ولا يميِّز هذا من هذا، ذكره ابن عساكر».[3]

إنّ وصم شُعْبَة لأبي هريرة بالتدليس، أخرجه عنه مسنداً: «ابن عدي الجرجاني»(المتوفّى ٣٦٥هـ) في كتابه: «الكامل في ضعفاء الرجال» في أثناء ترجمته للإمام الحافظ شعبة، فقال: أخبرنا الحسن بن عثمان

---

١. سير أعلام النبلاء:ج ٢، ترجمة أبي هريرة، ص ٦٠٦.

٢. وهو في الطبعة التي أرجع إليها من البداية والنهاية: ٨/ ١١٢.[بيروت: دار الكتب العلمية].

٣. البداية والنهاية لابن كثير:٨/ ١١٢.

التستري، أخبرنا سلمة بن شبيب قال: سمعت شعبة يقول: أبوهريرة كان يدلّس».[1]

والمشهور والمتعارف عليه عرفاً وتقليداً أنّ تدليس الصحابي لا إشكال فيه، لأنّه لا يدلِّسُ إلاّ عن صحابي مثله، ولكن لا يخفى ما في تعميم هذه القاعدة من إشكال، لا سيما هنا، فقد رأينا كيف ذكر ابن كثير ـ في البداية والنهاية ـ أنّ تدليس أبي هريرة كان روايته للأحاديث وسرده للأخبار دون تمييزه لما سمعه من كعب الأحبار عما يرويه عن رسول الله! فينقل عنه الرواة أحاديث يظنونها عن النبي هي من حديث كعب!!

***

ومن الأمثلة على ذلك، ما أخرجه الترمذي وابن ماجة في سننهما والإمام أحمد في مسنده، بسندهم عن أبي هريرة عن رسول الله قال ـ و اللفظ لأحمد في مسنده ـ : «إنّ يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كلّ يوم، حتّى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيستثني، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم...

---

١. الكامل في ضعفاء الرجال: ١/ ٦٨. (ط٣، بيروت، دارالفكر، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م).

الحديث».[1]

ذكر الحافظ ابن كثير هذه الرواية عن أبي هريرة بطرقها المختلفة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(الكهف:٩٧ـ ٩٨)، في تفسيره المعروف، وبعد نقله قول الترمذي عن الحديث بأنّه غريب لا يعرف إلاّ من هذا الوجه، قال(ابن كثير): «و إسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه (أي إلى النبي) نكارة، لأنّ ظاهر الآية يقتضي أنّهم لم يتمكنوا من ارتقائه، ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد رُوي عن كعب الأحبار أنّهم قبل خروجهم يأتونه، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلاّ القليل، فيقولون غداً نفتحه. فيأتون من الغد، وقد عاد كما كان يلحسونه حتى لا يبقى منه إلاّ القليل. إلخ، (ثمّ قال ابن كثير): وهذا متجه، ولعلّ أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنّه كان كثيراً ما كان يجالسه، ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنّه مرفوع (أي عن النبي) فرفعه، والله أعلم».[2]

***

ومثال آخر، ما أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره، وذكره ابن كثير في تفسيره بقوله:«وقد أورد ابن أبي

---

١. مسند أحمد:٢/ ٥١٠ـ ٥١١.

٢. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير:٣/ ١٠٢، (طبع الرياض، دار عالم الكتب).

حاتم (أي في تفسيره) هاهنا حديثاً غريباً منكراً» فذكروا حديثاً بسند متصل عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يحكي عن موسى على المنبر قال:«وقع في نفس موسى هل ينام الله عزّ وجلّ؟ فأرسل الله تعالى إليه ملكاً، فأرّقه ثلاثاً، وأعطاه قارورتين، في كلّ يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. فجعل ينام، وتكاد يداه تلتقيان، ثمّ يستيقظ، فيحبس إحداهما عن الأُخرى، حتى نام نومةً، فاصطفقت يداه، فانكسرت القارورتان!».[1]

قال الحافظ ابن كثير بعد روايته هذا الحديث: «والظاهر أنّ هذا الحديث ليس بمرفوع، بل من الإسرائيليات المنكرة. فإنّ موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوّز على الله سبحانه وتعالى النوم، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز بأنّه ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾...».[2]

***

ومثال ثالث، ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أبي هريرة أنّ رسول الله قال: «يخرج من خراسان رايات سود، لا يردها شيء

---

١. كلهم عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ﴾ الآية ٤١ من سورة فاطر، فانظر تفسير ابن كثير:٣/ ٥٣٨ـ ٥٣٩، وقد ذكره ابن كثير أيضاً ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ من آية الكرسي(أي الآية ٢٥٥) من سورة البقرة كذلك.

٢. المصدر السابق:٣/ ٥٣٩.

حتى تنصب بإيلياء». [١] فقد ذكر ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» هذا الحديث، عند ذكره لما جاء من أحاديث أو أخبار مأثورة عن سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس، نقلاً عن مسند أحمد، ثم قال: «وقد رواه البيهقي في الدلائل (أي دلائل النبوة) من حديث راشد بن سعد المصري. وهو ضعيف. ثمّ قال: قد رُوي قريباً من هذا عن كعب الأحبار وهو أشبه. ثمّ رواه عن كعب أيضاً، قال: تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام، ويقتل الله على أيديهم كلّ جبار وعدو لهم!». [٢]

***

ب. مآخذ عدد من الصحابة على كثرة رواية أبي هريرة لما يوقعه ذلك في أوهام وأخطاء في بعض ما يرويه

ثبت في الصحيح أنّ عدداً من الصحابة ردُّوا على أبي هريرة بعض ما رواه، ووهَّمُوه في روايته، أو خطَّؤوه في فهمه في أكثر من موضع:

١. من ذلك ما جاء في صحيح مسلم أنّ عائشة وأُمّ سلمة غلَّطتا أبا هريرة في حديث كان يرويه عن رسول الله، فلما واجهه بعض التابعين بذلك صرَّح بأنّه لم يكن سمع ذلك الأمر من رسول الله حقيقة، بل

---

١. مسند أحمد: ٢/ ٣٦٥.

٢. البداية والنهاية لابن كثير: ١٠/ ٦٧. (طبعة دار أبي حيان بالقاهرة، على نفقة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم). وفي طبعة بيروت: ١٠/ ٥١.

سمعه من الفضل بن العباس! وهذه هي الرواية:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال:[سمعت أبا هريرة يقص، يقول في قصصه:من أدركه الفجر جنباً فلا يصم.[1] فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك. فانطلق عبد الرحمن، وانطلقت معه. حتى إذا دخلنا على عائشة وأُمّ سلمة، فسألها عبد الرحمن عن ذلك. قال: فكلتاهما قالت:«كان النبي يصبح جنباً من غير حلم ثمّ يصوم». قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان. فذكر ذلك له عبد الرحمن. فقال مروان: عزمت عليك إلاّ ما ذهبت إلى أبي هريرة، فرددتَ عليه ما يقول. قال: فجئنا أبا هريرة، وأبو بكر حاضر ذلك كلّه، قال فذكر له عبد الرحمن، فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم. قال: هما أعلم!

ثمّ رَدَّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس. فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمعه من النبي. قال: فرجع أبو هريرة عمّا كان يقول في ذلك.(ثمّ قال الراوي أبو بكر) قلت لعبد الملك: أقالتا: في رمضان؟ قال: كذلك. كان يصبح جنباً من غير

---

١. وأورد البخاري في صحيحه ـ في رواية معلّقة عن همام وعبد الله بن عمر ـ كلام أبي هريرة هذا بصيغة صريحة في رفعها للرسول فقال:[وقال همام وابن عبدالله بن عمر عن أبي هريرة:«كان النبي يأمر بالفطر»]: صحيح البخاري،: ٣٠، كتاب الصوم، ٢٢، باب الصائم يصبح جنباً، ح١٩٢٦.

حلم ثم يصوم].[1]

٢. ومن ذلك ما مرّ منّا من إقلاع أبي هريرة عن رواية حديث «لا عدوى» وروايته لما يخالفه، ويثبت العدوى!، فلما استغرب بعض سامعيه من ذلك، وقالوا له ألم تكن تروي أنت نفسك أن لا عدوى؟! أنكر ذلك، ورطن بالحبشية، فاستغربوا منه إنكاره روايته رغم أنّهم سمعوها منه، وقالوا: إنّها أوّل مرة نجده فيها نسي!![2]

٣. ومنه ما مرّ منّا من ردّ السيدة عائشة حديث تعذيب الميت المسلم ببكاء أهله عليه ومن رواته أبو هريرة فضلاً عن عمر و ابنه عبد الله.

٤. ومنه أيضاً ما مرّ منّا من ردّ عائشة بشدة لحديث أبي هريرة مرفوعاً: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب» وقولها:«قد شبهتمونا بالحمير والكلاب!!» وفي رواية للبخاري: «قد جعلتمونا كلاباً!!».[3]

٥. و منه ما مرّ من ردّ عائشة رواية أبي هريرة التي نقل فيها عن النبي ذمّه للشعر مطلقاً وقوله: «لئن يمتلئ جوف رجل قيحاً حتى يَرِيه

---

١. صحيح مسلم، ١٣، كتاب الصيام، ١٣، باب صحة صيام من طلع عليه الفجر وهو جنب، ح٧٥، وصحيح البخاري، ٣٠، كتاب الصوم، ٢٢، باب الصائم يصبح جنباً، ح١٩٢٦.

٢. راجع الفصل الرابع: (مختلف الحديث ومتعارضه في الصحيحين): فقرة هل نفى رسول الله العدوى أم أثبتها؟ من هذا الكتاب.

٣. راجع الفصل الرابع: (مختلف الحديث ومتعارضه في الصحيحين): فقرة٨.

خيرٌ من أن يمتلئ شعراً!».

٦. وقد روي عن السيدة عائشة أيضاً أنّها ردَّت رواية أبي هريرة عن رسول الله عن أنّ الشؤم في المرأة والدابة والدار![1]

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (ج٦، ص ٢٤٦) بسنده عن قتادة عن أبي حسان الأعرج، أنّ رجلين دخلا على عائشة فقالا: إنّ أبا هريرة يحدث أنّ نبي الله كان يقول: «إنّما الطيرة في المرأة والدابة والدار» قال: فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما كان هكذا يقول، ولكن نبي الله كان يقول: «كان أهل الجاهلية يقولون الطيرة في المرأة والدار والدابة» ثمّ قرأت عائشة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاّ في كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ﴾(الحديد:٢٢).

٧. وروي كذلك عن عائشة أنّها رَدَّت ما رواه أبو هريرة عن رسول الله بشأن ولد الزنا وأنّه هو شرُّ الثلاثة، أي: شرٌّ من أبويه!! فقد أخرج الحاكم في مستدركه (كتاب الأحكام، ج٤، ص ١٠٠) بسنده: حديثين عن أبي هريرة قال: «سئل النبي عن ولد الزنا؟ فقال: هو شر الثلاثة!».

---

١. هذا الحديث أخرجه الشيخان وأصحاب السنن عن عبد الله بن عمر، كما في صحيح البخاري:٧٦، كتاب الطب، ٤٤، باب الفأل، الحديث رقم ٥٧٥٥ و ٥٤ باب لا عدوى، الحديث ٥٧٧٢، وصحيح مسلم، ٣٩، كتاب السلام، ٣٤، باب الطيرة والفأل، الحديث١١٥ـ١١٦.

فخطّأت عائشة روايته هذه، كما ذكـر ذلك الزركشي في الإجابة[1] (ص ١٠٨ـ ١٠٩) وكما أخرجـه الحاكم في مستـدركـه في الباب نفسـه (ج٤، ص ١٠٠) بسنـده عنها قـالت: قـال رسول الله: «ليس على ولـد الزنا مـن وِزْرِ أبويه شيء: ﴿وَلاَ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرىٰ﴾». وقال الحاكم هـذا حـديث صحيـح على شرط الشيخين ولم يخرجـاه، ووافقـه الحافظ الذهبي على ذلك في التلخيص، ذيل المستدرك.

وقد أخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح عن عروة بن الزبير عن (خـالته) عائشـة رواية أشمل في ذلك تـوضح منبع وهم أبي هـريرة فقال:

[بلغ عـائشـة أنّ أبا هـريـرة يقول: إنّ رسـول الله قـال: لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحبّ إليّ من أن أعتق ولـد الزنا، وأنّ رسـول الله قال: ولد الزنا شر الثلاثة، وإنّ الميت يُعذَّب ببكاء الحي.

فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة: أساء سمعاً، فأساء إصابة.

أمّا قولـه: لئن أُمَتع بسوط في سبيل الله أحبّ إليّ من أن أعتق ولد الزنا: إنّها لما نزلت: ﴿فَـلاَ ٱقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَمَـا أَدْرِيكَ مَا الْعَقَبَـةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ قيل: يـا رسول الله: مـا عندنـا ما نعتق، إلاّ أنّ أحـدنا لـه جاريـة سـوداء تخدمه، وتسعـى عليه ، فلـو أمـرناهن فـزنَيْن ، فجِئن بـالأولاد،

---

١. الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: ص ١٠٨ـ ١٠٩، عني بتحقيقه سعيد الأفغاني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

فأعتقناهن؟ فقال رسول الله: «لئن أُمَتَّع بسوط في سبيل الله أحبّ إليّ من أن آمر بالزنا، ثمّ أعتق الولد».

وأمّا قوله: ولد الزنا شرّ الثلاثة، فلم يكن الحديث على هذا إنّما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله فقال: «مَن يعذرني من فلان؟ » قيل: يا رسول الله:(إنّه) مع ما به ولد زنا!، فقال: «هو شر الثلاثة!»(أي لأنّه منافق، لا لأنّه ولد زنا)، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.[1]

٨. وأنكر عليه ابن مسعود قوله : «من غسل ميتاً فليغتسل، ومن حمله فليتوضّأ» وقال فيه قولاً شديداً، وقال: يا أيّها الناس! لا تنجسوا من موتاكم.[2]

ولعل أوهام أبي هريرة الكثيرة هذه هي التي تفسر كلام الزبير بن العوام عن روايات أبي هريرة الذي رواه عنه ابن كثير في تاريخه:«البداية والنهاية» فقال: «وقال ابن خيثمة: حدثنا هارون بن معروف، ثنا محمد بن سلمة، ثنا محمد بن إسحاق عن عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه ـ يعني عروة بن الزبير بن العوام ـ قال: قال لي أبي الزبير: ادنني من هذا اليماني ـ يعني أبا هريرة ـ فإنّه يكثر الحديث عن رسول الله، قال: فأدنيته منه، فجعل أبو هريرة يحدث، وجعل الزبير يقول: صدق، كذب،

---

١. مستدرك الحاكم:٥/ ٢١٥، بسند صحيح، وأقره على تصحيحه الذهبي في التلخيص.

٢. كتاب جامع بيان العلم وفضله: للحافظ ابن عبد البر القرطبي:٢/ ١٠٥، (بيروت: دار الفكر).

صدق، كذب. قال: قلت: يا أبي ما قولك: صدق، كذب؟ قال: يا بُنيّ أمّا أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله فلا أشك، ولكن منها ما يضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه».[١]

ويبدو أنّ هذا هو ما كان عمر يخشاه عندما كان ينهى أبا هريرة عن الرواية عن رسول الله كما أخرج ذلك عنه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه(١٤٧٥)»، وأورده الذهبي في سير أعلام نبلائه، من طريق محمد بن زرعة الرعيني، حدثنا مروان بن محمد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن السائب بن يزيد، سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس!، وقال لكعب (أي كعب الأحبار): لتتركن الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القردة!».[٢]

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» بعد أن أورد هذا الخبر: «وهذا

---

١. البداية والنهاية:٨/ ١١٢.

٢. قال الأُستاذ شعيب الأرناؤوط في حاشية تعليقاته على «سير أعلام النبلاء» للذهبي(ج٢، ص ٦٠١) بعد ذكره هذه الرواية: «وهذا إسناد صحيح، محمد بن زرعة قال أبو زرعة في تاريخه:١/ ٢٨٦: ثقة حافظ من أصحاب الوليد بن مسلم مات سنة ست عشرة ومائتين، ومروان بن محمد هو الطاطري: ثقة كما في التقريب، وباقي السند من رجال الصحيح. وروى ذلك عن عمر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته لأبي هريرة (ج٢، ص ٦٠١) وكذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (ج٨، ص ١١٠) وفي طبعة أُخرى في (ج٨، ص ١٠٦) وتصحّف في سنده إسماعيل بن عبيد الله إلى عبد الله، وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر(١٩/ ١١٧/ ٢) (أفاده الأُستاذ أرناؤوط).

محمول من عمر على أنّه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعهـا، وأنّهم يتكلمون على مـا فيها من أحـاديث الرخص، وأنّ الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقـع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ، فيحملها الناس عنه، أو نحو ذلك.[١]

ثمّ ذكـر الذهبي[في سير أعـلام النبـلاء:٢/ ٦٠١]: عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان: أنّ أبا هريرة كان يقول:«إنّي لأحدِّث بأحاديث، لو تكلمتُ بها في زمن عمر لشجَّ رأسي».[٢]

قال العـلاّمة محمد رشيد رضـا معلقاً على ذلك:«أقول: فلـو طال عمر عمَر حتى مات أبو هـريرة في عصره لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة عنه ومنها ٤٤٦ حديثاً في البخاري، ماعدا المكرر».[٣]

وقال ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) راداً على طعن النظّام المعتزلي بأبي هريرة:«وأمّا طعنه على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلي وعائشة

---

١. البداية والنهاية:٨/ ١١٠(بيروت: دار الكتب العلمية).

٢. وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» عن ابن وهـب عن يحيى بن أيوب، ورجاله ثقات، إلاّ أنّه منقطع، لأنّ ابن عجـلان لم يسمع من أبي هريرة، وفي المصنف لابن عبـد الرزاق الصنعاني (٢٠٤٩٦): أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الـزهري قال: قال أبو هريرة لما ولي عمـر، قـال: أقلـوا الـروايـة عن رسـول الله إلاّ فيما يعمل بـه، قـال: ثمّ يقـول أبـو هـريرة:«أفإن كنت محدثكم بهذه الأحـاديث وعمـر حي؟ أما والله إذاً لألفيت المخفقـة ستباشر ظهري!» [أفاده الأستاذ الأرناؤوط في تعليقه على سير الأعلام].

٣. مجلة المنـار، الجزء ٩ من المجلد العاشر، مقالـة: نهي الصحابة ورغبتهم عن الـرواية، ص ٨٥١.

له فإنّ أبا هـريرة صحب رسول الله نحواً من ثلاث سنين، وأكثـر الرواية عنه، وعمّر نحواً من خمسين سنة....

فلما أتى من الـرواية عنـه، مـا لم يأت بمثلـه من صحبه من جلـة أصحابـه والسابقين الأوّلين إليـه، اتّهموه، وأنكـروا عليه، وقـالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومَـن سمعه معك؟ وكانت عائشـة أيضاً أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه. وكـان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية... إلخ».[1]

هذا، ومن الجديـر بالـذكر، أن نقدَ أبي هـريرة على كثـرة روايته أو تكذيبه في بعضها، لما يقع فيها من وهم منه أو نقل خاطئ، لم يقتصر على عُمَر أو عائشة أو الزبير، بل كان عامـاً بين عديد من الصحابة، كما يبدو من هذا الحديث التالي الذي أخرجه مسلم في صحيحه: قال: حدثنا أبو بكـر بن أبي شيبة وأبـو كـريب(واللفظ لأبي كـريب) قـال: حدثنـا ابن إدريس عن الأعمش، عن أبي زرين. قال: خرج إلينـا أبو هريرة فضرب بيـده على جبهتـه، فقال: ألا إنّكـم تحدثون أني أكـذب على رسـول الله لتهتـدوا وأضل؟! ألا وإنّي أشهد لسمعـت رسول الله يقـول:«إذا انقطع شسع نعل أحدكم ، فلا يمشي في الأُخرى حتى يصلحها»!![2]

---

١. تأويل مختلف الحديـث: لابن قتيبـة الـدينـوري، ص ٤١، (ط ١، بيروت، دار الكتب العلميـة).

٢. صحيح مسلم:٣٧، كتـاب اللبـاس والـزينـة، ١٩، بـاب استحبـاب لبـس النعل في اليمنى...، ح ٦٩.

ج. علماء الكوفة وتركهم بعض ما يروى عن أبي هريرة

ويبدو أنّ كلّ ما تقدم، كان سبباً في ترك طائفة من علماء الكوفة وعلى رأسهم الإمام «إبراهيم النخعي» شيخ الإمام أبي حنيفة لبعض أحاديث أبي هريرة وعدم أخذه بكلّ ما رواه أو ما رووه عنه. وإليك ما جاء في ذلك بأسانيده:

روى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: «حدثني أبي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، قال: كان إبراهيم (أي النخعي) صيرفياً في الحديث، أجيؤه بالحديث. قال: فكتب مما أخذته عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: كانوا يتركون أشياء من أحاديث أبي هريرة».[1]

وقد رويت هذه الرواية عن النخعي بلفظ أشد، ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة، نقلاً عن الشيخ أبي جعفر الإسكافي المعتزلي (٢٤٠هـ) قال: «وروى أبو أسامة عن الأعمش، قال: كان إبراهيم (أي النخعي) صحيح الحديث، فكنتُ إذا سمعت الحديث أتيته، فعرضته عليه، فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، فقال: دعني من أبي هريرة، إنّهم كانوا يتركون كثيراً من

---

١. كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد، ص ١٤٠. وأبو أسامة هو حماد بن أسامة، ثقة جليل المكانة، من رجال الصحيحين.(أفاده عبد المنعم صالح العلي في كتابه: دفاع عن أبي هريرة: ص ٢٣٧).

حديثه».[1]

ونسب الفقيه الحنفي الكبير، شارح كتاب الشيباني، شمس الأئمة السرخسي(٤٩٠هـ) في كتابه المعروف بأُصول السرخسي، بصراحة، للإمام النخعي إخباره عمن سبقه أنّهم: «كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة، ويدعون».[2]

وجاء في كتاب «مختصر المؤمل في الردّ إلى الأمر الأوّل» لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ) قال: «وروى محمد بن الحسن (أي الشيباني تلميذ أبي حنيفة) عن أبي حنيفة أنّه قال: «أقلد مَن كان من القضاة من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والعبادلة الثلاثة، ولا أستجيز خلافهم برأيي إلاّ ثلاثة نفر». وفي رواية: «أقلد جميع الصحابة ، ولا أستجيز خلافهم برأي، إلاّ ثلاثة نفر: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وسمرة بن جندب».

فقيل له في ذلك، فقال: «أمّا أنس، فاختلط في آخر عمره، وكان يفتي من عقله، وأنا لا أقلد عقله. وأمّا أبو هريرة، فكان يروي كلّ ما سمع، من غير أن يتأمّل في المعنى، ومن غير أن يعرف «الناسخ

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:١/ ٣٦٠(من الطبعة القديمة) أو ج٤/ ٦٧ـ٦٩، من الطبعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢. أصول السرخسي:١/ ٣٤١.

والمنسوخ».[1]

وقال ابن كثير في تاريخه: «البداية والنهاية»: «...وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم (النخعي)، قال: [كان أصحابنا يَدَعون من حديث أبي هريرة]. وروى الأعمش عن إبراهيم (النخعي) قال: [ما كانوا يأخذون بكلّ حديث أبي هريرة] . وقال الثوري: [عن منصور عن إبراهيم (النخعي) قال: «كانوا يرون في حديث أبي هريرة شيئاً، وما كانوا يأخذون بكلّ حديث أبي هريرة، إلاّ ما كان من حديث صفة جنة أو نار، أو حثٍّ على عمل صالح، أو نهي عن شرٍ جاء القرآن به»].

وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة وردَّ هذا الذي قاله إبراهيم النخعي. وقد قال ما قاله إبراهيم (أي النخعي) طائفة من الكوفيين، والجمهور على خلافهم».[2]

***

د. ارتياب عدد من أعلام المعتزلة القدماء في أحاديث أبي هريرة وتكذيب كثير من رواياته

رغم أنّ ما نقلته كان كافياً لإثبات وجود الشبهة وضرورة التثبت في المرويات الغريبة والإسرائيلية والمستنكرة والمخالفة لظاهر القرآن أو

---

١. مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأوّل، لأبي شامة المقدسي، تحت عنوان: [نصوص الإمام أبي حنيفة في اتّباع السنّة وتأسيس مذهبه] ص ٦٢ ـ ٦٣، (قدّم له، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: صلاح الدين مقبول أحمد، طبع الكويت، مكتبة الصحوة الإسلامية).

٢. البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ١١٣. (وفي الطبعة الأُخرى، ج٨/ ١٠٩).

لمدلـولات الأحـاديث المشتهـرة الأُخـرى (وبتعبيير الحنفيـة: المخـالفـة للقياس) المسندة عـن طريق أبي هريرة، ووجوب التـوقف في نسبتها إلى رســول الله؛ إلاّ أنّ الصــورة لا تكتمـل إلاّ إذا ذكـرنــا أقــوال العلماء والمجتهـدين جميعهم من سلف الأُمـة وقـرونها الأُولى حـول أبي هـريـرة وغرائب مروياته.

ولا شكّ أنّ المعتـزلــة يمثلـون جـزءاً لا يُجتـزأ مـن سلف الأُمـة ومجتهـــديها الأعـــلام، ولا يمكــن لمنصف أن ينكـــر فضلهــم وعلمهم وجهـادهم بـاللسان والقلم في الـدفـاع عن الإسـلام في وجه خصـومـه ومهاجميه من الملاحدة وأهل الملل والأديان المخالفة، وهذا ما قرره لفيف من علماء الإسلام ومفكّـريه في هـذا القرن، ومنهم عـدد من أعلام علماء الأزهـر الشريف، أذكر على سبيل المثـال لا الحصر فضيلة الشيخ عبـد الجليل عيسى أبـو النصر شيخ كلّيتـيّ أُصـول الـدين واللغـة العـربيـة بالأزهـر الشريف سابقاً وعضو مجمع البحـوث الإسلامية فيه في كتـابه: «ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين».

وقد أحسن العلاّمة محمد رشيـد رضا، قبل ذلك، الدفاع عنهم في مجلته المنـار مبيّناً أنّهم من المجتهـدين المثابين على اجتهـادهم إمّا بـأجر واحد إن أخطـؤوا، أو بأجرين إن أصــابوا، مثلهم مثل سـائر المجتهدين من أُمّة محمد[1]، كما بين أنّه من الخطأ تصور أنّ مذهبهم اندثر، فالزيدية

١. راجع دفـاعــه عنهم وإنصـافــه بحقهم في الجزء١٢ من المجلـد١٦ من مجلتــه المنـار: الصفحات:٨٣٩ـ٨٤٨، و ٩١٣ـ٩٢٨.

والإباضية ثمّ الإمامية، الذين يشكلون مئات الملايين من المسلمين، هم في أغلب آرائهم الكلامية ـ خاصة في التوحيد والصفات والعدل الإلهي ـ مع المعتزلة.

كما أنّ لمنهج المعتزلة العقلاني عديداً من المؤيدين في أوساط أعلام أهل الفكر المعاصرين من أهل السنة في مصر و الأُردن والشام وغيرها من بلاد الإسلام، استحسنوا في كتاباتهم آراء المعتزلة، وأبدوا إعجابهم بعقلانيتهم في التفكير، وصرحوا برجحان كثير من عقائدهم ومواقفهم، انكب بعضهم على تحقيق تراثهم ونشره: أذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، بعض الأسماء اللامعة: فمنهم الأُستاذ أحمد أمين، والأُستاذ فؤاد السيد (رئيس قسم إرشاد وباحثي المخطوطات بدار الكتب المصرية) والدكتور عبد الكريم عثمان، والدكتور أحمد محمود صبحي (أُستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية) والدكتور محمد عمارة، صاحب المؤلفات العديدة والذي كان عنوان رسالته للماجستير: «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية....»[1]

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾.

(الأعراف:١٨٥)

١. نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث: لإسماعيل الكردي:٢٤٣ـ ٢٦٠، ولكلامه صلة فمن أراد فليرجع إليه.

٣

مواجهة المستعمرين

لم يقتصر جهاد السيد ﵀ على الجانب العلمي والفكري فقط، بل ضمّ إليه نضاله ضد الاستعمار، وذلك عندما انسحبت قوات الخلافة العثمانية من البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأُولى عام ١٩١٧م، وحلّت مكانها قوات الحُلفاء وتقسّم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة تقاسمها الحلفاء بينهم، وصارت بلاد الشام تحت الانتداب الفرنسي.

فعند ذلك أحسّ السيد شرف الدين﵀ بأنّ الأخطار محدقة بالإسلام والمسلمين، فنهض بعزم صارم إلى محاربة الاستعمار ودعوة الجماهير(السنّة منهم والشيعة) إلى طرد الحكام ورفض حكومة الانتداب فلاقىٰ في هذا الطريق ما لاقىٰ ممّا لا يمكن تبيينه في هذا المقال.

يقول المحقّق الخبير بحياة السيد (الشيخ مرتضى آل ياسين): إنّ خدماته العظيمة في العهد التركي، ثمّ في العهد الفرنسي، ثمّ في أيام

الاستقلال، كانت امتداداً لحركات التحرير، وارتقاء بها نحو كلّ ما يحقّق العدل ويوطد الأمن، ... ولعلّ المحن التي كابدها هذا الإمام الجليل في سبيل إسعاد قومه، لم يكابد نارها إلاّ أفذاذ من زعماء العرب وقادتهم، ممّن أبلوا بلاءه وعانوا عناءه.

وناهيك بما فاجأته به سلطة الاحتلال الفرنسي حين ضاقت به ذرعاً، إذ أوعزت إلى بعض جفاتها الغلاظ باغتياله. واقتحم ابن الحلاج عليه الدار في غرة، وهو بين أهله وعياله، دون أن يكون لديه أحد من أعوانه ورجاله، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد له غير ما أرادوا، فكفّ أيديهم عنه، ثمّ تراجعوا عنه صاغرين يتعثرون بأذيال الفشل والهوان، وما كاد يذيع نبأ هذه المباغتة الغادرة في عاملة، حتى خفت جماهيرهم إلى صور، تزحف إليها من كلّ صوب وحدب، لتأتمر مع سيدها فيما يجب اتخاذه من التدابير إزاء هذا الحادث، غير أنّ السيد صرفهم بعد أن شكرهم، وأجزل شكرهم، وارتأى لهم أن يمروا بالحادث كراما.

ثمّ تلا هذا الحادث أحداث وأحداث اتّسع فيها الخرق، وانفجرت فيها شقّة الخلاف، حتى أدّت إلى تشريد السيد بأهله ومن إليه من زعماء عاملة إلى دمشق، وقد وصل إليها برغم الجيش الفرنسي الذي كان يرصد عليه الطريق، إذ كانت السلطة الغاشمة تتعقّبه بقوة من قواتها المسلحة لتحول بينه و بين الوصول إلى دمشق، وحين يئست من القبض عليه، عادت فسلّطت النار على داره في (شحور)

فتركتها هشيماً تذروه الرياح، ثمّ احتلت داره الكبرى الواقعة في (صور) بعد أن أباحتها للأيدي الاثيمة، تعيث بها سلباً ونهباً، حتى لم تترك فيها غالياً ولا رخيصاً، وكان أوجع ما في هذه النكبة تحريقهم مكتبة السيد بكلّ ما فيها من نفائس الكتب واعلاقها، ومنها تسعة عشر مؤلفاً من مؤلفاته، كانت لا تزال خطية إلى ذلك التاريخ.

في دمشق

وظل في دمشق تجيش نفسه بالعظائم، وتحيط به المكرمات، في أُبّهة من نفسه، ومن جهاده، ومن إيمانه، وكان في دمشق يومئذ مداولات ملكية، واجتماعات سياسية، وحفلات وطنية، تتبعها اتّصالات بطبقات مختلفة من الحكومة والشعب، كان السيد في جميعها زعيماً من زعماء الفكر، وقائداً من قادة الرأي، ومعقداً من معاقد الأمل في النجاح.

وله في هذه الميادين مواقف مذكورة، وخطابات محفوظة، سجلها له التاريخ بكثير من الفخر والإعجاب.

ولم يكن بد من اصطدام العرب بجيش الاحتلال، فقد كانت الأسباب كلّها مهيّأة لهذا الاصطدام؛ حتى إذا التقى الجمعان في «ميسلون» واشتبكا في حرب لم يطل أمدها ودارت الدائرة على العرب لأسباب نعرض عنها، غادر السيد دمشق إلى فلسطين ومنها إلى مصر بنفر من أهله، بعد أن وزع أُسرته في فلسطين بين الشام؛ و بين أنحاء

من جبل عامل، في مأساة تضيف أدلة إلى الأدلة على لؤمٍ، فقد ظل ثقل من أهله الذين ذهبوا إلى «عاملة» يجوبون الفلوات والوديان في «عاملة» ليالي وأياماً لا يجدون بلغة من العيش يحشون بها معد صغارهم الفارغة على أنّهم يبذلون من المال أضعاف القيمة، ويبسطون أكفّهم بسخاء نادر، وأخيراً لم يجدوا حلاً بغير توزيع قافلتهم في الأطراف المتباعدة، بين من بقي من أوليائهم وأصدقائهم على شيء من الوفاء أو الشجاعة.

في مصر

وحين وصل مصر احتفلت به، وعرفته بالرغم من تنكره وراء كوفية وعقال، في طراز من الهندام على نسق المألوف من الملابس الصحراوية اليوم؛ وكانت له مواقف في مصر وجهت إليه نظر الخاصة من شيوخ العلم، وأقطاب الأدب، ورجال السياسة، على نحو ما تقتضيه شخصيته الكريمة.

ولم يكن هذا أوّل عهده بمصر فقد عرفته مصر قبل ذلك بثمان سنين، حين زارها في أواخر سنة تسع وعشرين، ودخلت عليه فيها سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، في رحلة علمية جمعته بأهل البحث، وجمعت به قادة الرأي من علماء مصر، وعقدت فيها بينه و بين شيخ الأزهر يومئذٍ ـ الشيخ سليم البشري ـ اجتماعات متوالية

تجاذبا فيها أطراف الحديث، و تداولا جوانب النظر في أُمّهات المسائل الكلامية والأُصولية، ثمّ كان من نتاج تلك الاجتماعات الكريمة هذه «المراجعات» التي نحن بصددها.

في فلسطين

وحدثت ظروف دعته إلى أن يكون قريباً من عاملة، فغادر مصر في أواخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية إلى قرية من فلسطين تسمى (علما) تقع على حدود جبل عامل، وفي هذه القرية هوى إليه أهله وعشيرته، ولحق به أولياؤه المشردون في هذا الجهاد الديني الوطني، فكانوا حوله في القرى المجاورة. وكان في (علما) كما يكون في جبل عامل من غير فرق، كأنّه غير مبعد عن داره وبلده، يتوافد إليه الناس من قريب ومن بعيد، ولا يكاد يخلو منزله من أفواج الناس، فيهم الضيوف، وفيهم طلاب الحاجات، وفيهم رواد القضاء، والفقه، وفيهم من تستدعه الحياة السياسية أن يعرف ما عند السيد من وجه الرأي.

وانسلخت شهور في (علما) تصرفت فيها الأمور تصرفاً يرضي السيد بعض الرضا، وأُبيح للسيد أن يعود إلى عاملة بعد مفاوضات أدّت إلى العفو عن المجاهدين عفواً عامّاً، وإلى وعد من السلطة بإنصاف جبل عامل، وإنهاضه، وإعطائه حقوقه كاملة.

العودة

وحين اطمأنّت نفسه بما وعدته به السلطة، عاد إلى جبل عامل، ولم تسمح نفسه بأن يعود والمجاهدون مبعدون، لذلك جعل بيروت طريق عودته ـ وطريقه بعيدة عنها ـ ليستنجز العفو العام عن المجاهدين، وكذلك كان، فإنّه لم يخرج من بيروت حتى كان المجاهدون في حل من الرجوع إلى وطنهم وأهليهم.[1]

---

١. . مقدمة كتاب «المرجعات» بقلم آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين.

٤

كلمات الأعاظم في حقّ السيد

الحق أنّ شخصية شرف الدين ومكانته العلمية وشخصيته الجليلة ونضاله ضد المستعمرين والملحدين أظهر من أن تخفى على من له إلمام بتاريخ العلم والعلماء.

ونقتصر في المقام ـ إكمالاً للبحث ـ ببعض كلمات الثناء والتقدير الّتي ذكرها العلماء في حقّه.

هذا هو آية الله المحقّق الخراساني (١٢٥٥ـ ١٣٢٩هـ) صاحب المدرسة الأُصولية، المعروف بكثرة الإنتاج والتخريج، يعرّف تلميذه الجليل شرف الدين في إجازة خاصّة له، بما يلي:

كلمة المحقّق الخراساني في حقّه

«وإنّ سيادة السيد السند، والثقة الفقيه المجتهد المنزّه من كلّ شين، سيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ـ شد الله أركانه وأعطاه يوم

القيامة أمانه ـ مجتهد مطلق، وعدل موثّق قد أصبح من أهل الذكر الذين ترجع إليهم العباد، وترقّىٰ من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، فخفقت ألوية النيابة عليه، وألقت بأزمّتها إليه، وحرم عليه التقليد، ووجب عليه العمل برأيه السديد، فليمتثل المؤمنون أمره ونهيه، وليرجعوا إليه في أموالهم، ويفزعوا إليه في سائر أفعالهم، فإنّه حجّة عليهم، ماضية فيهم حكومته ونافذ قضاؤه، ويحرم الردّ عليه فإنّ الرادّ عليه رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله؛ والمأمول منه أن يسلك جادّة الاحتياط فإنّها سبيل النجاة، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل».

كلمة الحجّة الطهراني

يقول الشيخ آقا بزرگ الطهراني في ترجمته: لقد كان المترجم له مأثرة من مآثر الوقت، وآية كبرى ازدهر بها العصر الحاضر، وحسْب هذا القرن مفخرة أن ينبغ فيه مثل هذا العبقري الفذّ، وحسْب «عاملة» أن تقل باحتها علَماً خفاقاً للدين وسيفاً مشهوراً للهدى مثله من بقايا العترة الطاهرة عليهم السلام.

فلقد فاق أقرانه بثروة علمية طائلة، وقوة في العارضة، وفلج في الحجة، ورصانة في الاسلوب، وجودة في السرد، واهتداء إلى المغازي الشريفة والدقائق البعيدة المرمى، و الغايات الكريمة، فماذا يقول الواصف فيه، أهو مجتهد فاضل، أم متكلم بارع، أم فيلسوف بحر محقّق،

أم أُصولي ضليع، أم مفسر كبير، أم محدث صدوق، أم مؤرخ ثبت، أم خطيب مصقع، أم باحث ناقد، أم أديب كبير؟ نعم هو كلّ ذلك أضف إليه: أنّه ذلك المجاهد الدائب على المناضلة دون الدين والمكافح المتواصل دفاعه عن المذهب الحق، تشهد له بذلك كلّه المحابر والمزابر، والكتب والدفاتر، والخطب والمنابر، وأعماله الناجعة، ومحاضراته البديعة، وحجاجه الدامغ.(١)

ولعلّ في هذه الكلمة من معاصره الخبير بالرجال، الغنىٰ والكفاية.

وقد ترجم في «موسوعة طبقات الفقهاء» ووصف فيها بالنحو التالي:

كان فقيهاً مجتهداً محدثاً خطيباً مفوهاً أديباً بارعاً من كبار الدعاة إلى الوفاق بين المسلمين.(٢)

الإمام الخميني والسيد شرف الدين

قضى السيد الراحل حياته بجلائل أعماله وعظيم مواقفه إلى أن لبّىٰ دعوة ربه عاشر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧هـ فخسره المسلمون زعيماً كبيراً من رجالات الأُمّة وبطلاً من أشهر أبطالها، وقد أحدثت

---

١. نقباء البشر: ٣/ ١٠٨٣.

١. موسوعة طبقات الفقهاء: ١٤/ ٣١٨.

وفاته، ثلمة في الدين، وأُقيمت له الفواتح في مختلف البلاد، ومنها مجلس الفاتحة الذي أقامه السيد البروجردي في مسجد الحرم الشريف لكريمة أهل البيت عليها السلام في قم المقدسة، ولم يطّلع السيد الإمام الخميني قدس سره على إقامة الفاتحة ذلك اليوم، فجاء بنية إلقاء درسه اليومي في أحد المساجد المعروفة في قم (مسجد السلماسي)والذي يلقي فيه دروسه يومياً، فأخبرناه بمجلس الفاتحة، فقال: نحن نجمع بين الحقّين: الدراسة والحضور في الفاتحة، فألقى شيئاً من محاضرته، ثمّ تحدّث عن خدمات السيد شرف الدين، و ممّا ذكره: «أنّه كان سيفاً مسلولاً على أعداء الله»، ثمّ توجّه بعد ذلك هو وطلاب درسه إلى مجلس الفاتحة لأجل المشاركة فيه.

وعند وصولنا إلى المجلس نُبِّئنا أنّ الفاتحة كانت في وقتها الأخير، فلمّا ورد السيد الإمام المجلس والتلاميذ من ورائه فكأنّه قد انعقد مجلس الفاتحة من جديد للسيد الراحل.

٥

مؤلفاته وآثاره

امتازت مؤلفات السيد بالعمق والاستيعاب والمتانة والأدب الرفيع، نذكر منها ما هو الأهم:

١ . شرح تبصرة المتعلّمين في الفقه للعلاّمة الحلي في ثلاثة أجزاء.

٢ . المسائل الفقهية.

٣ . تحفة الأصحاب في طهارة أهل الكتاب.

٤ . رسالة في منجزات المريض.

٥ . رسالة في المواريث.

٦ . تعليقة على مبحث الاستصحاب من فرائد الأُصول للشيخ الأنصاري.

٧ . المراجعات.

٨ . تعليقة على صحيح البخاري في مجلد واحد.

٩ . تعليقة على صحيح مسلم في مجلد واحد.

١٠. أبو هريرة.

١١. النص والاجتهاد.

١٢. الفصول المهمة في تأليف الأُمّة.

١٣. المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، في أربعة أجزاء.

١٤. رسالة حول الرؤية.

١٥. رسالة فلسفة الميثاق والولاية.

١٦. رسالة الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء.

١٧. بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين.

١٨. أجوبة مسائل موسى جار الله.

١٩. تحفة المحدّثين في من أخرج عنه السنّة من المضعّفين.

٢٠. سبيل المؤمنين في الإمامة في ثلاث مجلدات.

ومن رغب الاطلاع على كافة مؤلفاته فليرجع إلى كتاب «نقباء البشر» ج٣، ص ١٠٨٦ـ ١٠٨٧.

السيد البروجردي وكتاب المراجعات

صدر كتاب المراجعات إلى الأسواق عام ١٣٥٥هـ ثمّ تلت الطبعة الأُولى طبعات أُخرى بعد مضي عقد من السنين، ولم يكن السيد البروجردي مطّلعاً عليه، وقد قدّم الكتاب إليه أحد أساتذة الحوزة العلمية وهو آية الله السلطاني ﷺ، فأخذه السيد بإجلال وإكبار، فلمّا جلس لمطالعته ليلاً أسرته جاذبيته وأخذت بمجامع قلبه، فاستغرق في

مطالعتـه إلى أن بلغ الصفحة الأخيرة من الكتـاب وقد مضى هـزيعاً من الليل.

ولما التقى صبيحـة تلك الليلة بـالسيد السلطـاني أعرب لـه عن إعجابـه بالكتـاب، وتقريـره الهادئ وفي الوقت نفسـه الصارم والقـاطع لحجة المناظر.

ثمّ إنّ السيـد السلطاني أخبر السيـد البروجردي أنّ للسيـد شرف الدين كتـاباً آخر وهو كتاب «النص والاجتهـاد»، أثبت فيه أنّ المسلمين الأُول خصوصاً المُنتمين منهم لمدرسة الخلفاء كانوا يقدّمون المصالح على النصوص، وانّ السيد﴿ قـد استقصى موارد هـذا النوع من الاجتهـاد بمعنى العمل بـالسـلائق في مقـابل الكتـاب والسنّـة، فسعـد السيـد البروجردي بهذا الكتـاب وتحمّل نفقة طبعـه وصدر إلى الأسـواق مرات عديدة.

٦

نماذج من رشحات قلمه الفياض

إنّ للإمام شرف الدين وراء ما ألّف وصنّف في موضوعات مختلفة، رسائل إخوانية إلى أعلام عصره وفطاحل زمانه، لو جمعت في مكان واحد لشكّلت كتاباً مفرداً.

ونحن نعرض في هذا الفصل نماذج من رشحات قلمه الفياض التي تعلوها بلاغة علوية، وكلمات عذبة وجميلة موجزة تحتوي أرقى المعاني، كما أنّ مكاتباته مع علماء مختلف البلدان تعرب عن أنّه كان قطباً تدور عليه رحى الفضل والأدب، وأنّه كان مفزعاً لحل المشاكل العلمية، غير أنّ المجال لا يتسع لعرض جميع هذه الرسائل، لذا نقتصر على رسائل ثلاث:

الأُولى: رسالته التأبينية إلى آية الله صدر الدين الصدر المقيم بمدينة قم.

الثانية: رسالته إلى الخطيب المصقع الحاج عباس قلي الواعظ

الچرندابي التبريـزي حـول نشر كتــاب «أوائل المقـالات» ، و«تصحيح الاعتقاد » للشيخ المفيد.

الثالثة: تقريظه لكتاب «الغدير» للعلاّمة الأميني.

وهذه الـرسائل تعـرب عن أدبه الجمّ وقـدرته الفـائقة على صبّ المعاني والأفكار في قوالب رصينة. وإليك نصوص تلك الرسائل:

١

أ. رسالته التأبينية إلى آية الله السيد صدر الدين الصدر في وفاة أحد أقربائه:

بسم الله تعالى

سنـدي وكهلي والبقيّـة من أهلي، لك البقـاء وبك العـزاء، وأنت الأُسوة وبك القدوة، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

ألا أيّها الموت الّـــذي ليس تـــاركي
أرحـــني فقـــد أفنيت كلّ خليـــل
أراك بصـــيراً بـــالّـــذيـــن أُحبّهـــم
كأنّك تنحـــو نحـــوهم بـــدليـــل

لا غـرو أن سئمت الحياة الدّنيـا، وعزفت نفسي عنها، فإنّ فقدان الأحبة، وثكلان الأعزة، يـوجب ذلك بحكم الفطرة والجبلّة، وما عليّ من معرّة إذا مـا مللت عمـري، وسئمت حياتي، وتفطـرت حرقـاً، وتفجرت علقاً، فمن لي بالجلـد، وأين لا أين يوجد، وأحبابي سَفـر، وأترابي ظعن، والدّار قفر، والجناب صفر.

كأن لم يكـن بين الحجـــون إلى الصفـــا
أنيس ولـــم يسمـــر بمكـــة ســـامـــر

فآهٍ وأُوّاه على إخـواني مصابيح دجى العـالم، ومقابيس هـدى بني

آدم، أعلام الدّين من آل الصّدر و ياسين.

سبقوا هواي وأعنقوا لهواهم فتُخِرِّموا ولكلّ جنب مصرع

فللعين القذى، وللحلق بعـدهم الشجى، والليل مسهد، والحزن سرمد، أو يختار الله لي دارهم التي ظعنوا إليها.

أيجيب منـي القلب داعـــي سلـــوة

وهـــو الأصم الوقـــر عـــن نغماتـــها

أيقـــاد سلس القـــود نحـــو نـــديّها

فبعـــوج شامســـه على أبيـــاتـــها

هيهـــات يقعـــده السلـو وغـــدوة

عنـــه الأحبـــة هجهجت جسراتها

هيهات هيهات، وقد أومض برق العراق، بصاعقة اقشعرت لهولها الآفاق، فـاضطربت الحواس، وانخلعت بها قلـوب الناس فإنّـا لله وإنّا إليه راجعون.

قضى إمام الأُمـة، ومفزعها في كلّ ملمة، وطريقهـا الفاصل، بين الحقّ والبـاطل، قضى والله فصـل خطـابها، ومَفصل صـوابها، قضى شخص العلم والعمل، ومناط الرجاء والأمل.

مصـاب عظيـم هـو لـه بلـغ السّمـا

وخطب جسيم صير الـــدّهـر في عمى

انـدك الطـود الـذي يُمسك الله بـه الأرض أن تميـد، وبـه يُغيث الناس فيمطرهم رحمةً وفضلاً، فإذا صبري قتيـل، وأمري عويل، وحياتي

شقاء، وكلّ ما حولي ثكل وبكاء.

ويا لهف أرضي وسمائي علىٰ بقيـة سلفنا الهاشمي، وتليّـة شرفنـا الفاطمي المفداة، تأخذها القارعة تلو القارعة وقد بلغت من الكبر عتيا، رحماك اللّهم ربّنا وحنـانيك في أُمتك هذه الضعيفة وابنـة عبديك وأنت أعلم بها وارحم ولك عليها سوابق النعم، أشبلتها الضراغم لتكون بينهم أعزّ من جبهة الأسد، اللّهم فافرغ عليها من الصبر ما تستوجب به أعظم الأجر، وأورف عليهـا من ظلال علميها مـا تتقلب فيه على مهاد الـدّعة، وتستظل فيه تحت سماء العز على ما لها من الباقيات الصالحات فإنّها خير عندك ثواباً وخير أملاً.

أمتع ربّنا عبـادك بآيتك فيهم وحجتك عليهم «صـدر الدين» و إمام المسلمين، واجعلـه ثمال الباقين كما جعلتـه مثال الماضين، إنّك ذو الفضل العظيم والمن الجسيم وأنت أرحم الراحمين.

صور ـ ١٥ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

وفي هامش الرسالة:

إلى الآن لم تصل هـديتكم المشكـورة ـ كتـاب المهـدي عجّل الله فرجه ــ ومتى وصلت سنأثر بها جماعة (حول حلـب) قد استبصروا ولاية وبراءة فهم بهذه الهدية أولى.

أمّا «بغيـة الراغبين» فـربما نطبعها في إيـران حين التشرف بزيـارة المشهد المقدس وبخدمتكم، ولعلّ ذلك يكون قريباً إن شاء الله تعالى.

٢

رسالته إلى الشيخ الواعظ الچرندابي

حول نشر كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي في الله عزّ وجلّ الحاج الشيخ عباس قلي الواعظ الچرندابي

شكر الله سعيك الدائب في نصر الحقّ، وعزمك المرهف في نشره، وسلام عليك فاضلاً باسلاً مناضلاً عن الحقيقة، جادّاً فيما يوجب السعادة، مجتهداً في الوعظ نصحاً وإرشاداً وإفادة ورحمة الله وبركاته.

فزنا اليوم بكتابك المستطاب مؤرخاً ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ وقبله بأُسبوع كانت لنا الحظوة بالهدية السنية ـ أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، و تصحيح الاعتقاد ـ لمؤلفهما إمام الأُمّة وممثل أهل العصمة شيخنا ومولانا أبي عبد الله محمد بن محمد بن

١. أوائل المقالات؛ الطبعة الثانية، مكتبة حقيقة في تبريز.

النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد أعلى الله مقامه، ولعمري إنّك اجملت الصنع إذ بعثت هذين المصحفين من مرقدهما المجهول فأوليت الأُمّة بذلك علماً جماً، وازدرعت في الدنيا الإسلامية خيراً كثيراً وخولتها نعمة عظيمة.

تصفحت «أوائل المقالات» أنعم فيها النظر سبراً لغورها، وقلبتها ظهراً لبطن عجباً لعودها، فإذا هي فرقان محكم الوضع، غزير المادة، معتدل الأساليب، متناسق التبويب، جزيل المباحث، جليل العوائد، داني القطوف، عذب المورد، ناصع البيان، تدرك مقاصده على غير مؤنة ولا إرهاق خاطر، تؤيده الحجج الملزمة والبينات المسلمة، وقد طوى على نحو تسعين مقالة هي موضوع البحث ومحل النزاع بين الشيعة الإمامية وغيرهم من سائر الفرق المسلمة، ظهر فيها مقطع الحق، وبان بها مشعب السداد، وقد استظهر مؤلفها ـ شيخ الأُمّة ومفيدها ـ على خصومه فيها بحكم العقل والنقل، فإذا مقالاته مفصل الصواب وفصل الخطاب، وإذا هي الحد الفاصل بين الحقّ والباطل، وإذا خصمه فيها صاغر قميء قد خصم فخطم والحمد لله ربّ العالمين.

ثمّ استقرأت «تصحيح الاعتقاد أو شرح عقائد الصدوق» فإذا هو كسابقه لا شبهة فيه لمعتدل، ولا مطعن به لمنصف، ولا سبيل عليه لفاضل فاصل، يستسلم للبيّنات والدلائل من مؤالف أو مخالف، ولا غرو فيما يخرجه قلم شيخنا المفيد أن يكون الغاية ليس وراؤها مذهب

لطالب ولا مراغ لمستفيد، فقد كان أعلى الله مقامه أقضى قضاة محاكم المعقول والمنقول، وأمضى فياصل الحق من أولياء آل الرسول، ولو وجبت العصمة لغير الأنبياء وأوصيائهم لكان أوّل من وجبت له بعدهم ﷺ، فكتبه كلّها هدى ونور وشفاء لما في الصدور، ونحن نشكر لك نشر الرسالتين، ونقدر اتحافك إيانا بهما، ونكبر جزيل فوائدك، ولا ننسى جميل عوائدك، وفقك الله لتأييد الحقّ ونصره وسهل لك أسباب إذاعته ونشره.

صور - لبنان

في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

٣

تقريظه لموسوعة الغدير[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

حجّة الإسلام العلاّمة الثبت المجاهد (الأميني) أعزّه الله وأعزّ به

تحيّة طيّبة وسلاماً كريماً.

أشعر أنّ لك عليّ واجباً يتجاوز حدود القول في تقريظ (الغدير) موسوعتك النادرة، والثناء عليها بوصفها مجهوداً ثقافياً منقطع النظير.

فالقول في هذا ونحوه أدنى ما يُستقبل به جهادك، وأقلّ ما يوزن به تتبّعك واستيعابك، أمّا الذي يعطيك كفاء حقّك في هذه الموسوعة الفاضلة فتقديرٌ يبلّغ الأُمّة أنّك من أبطالها الأقلّين، ويدعوها من أجل هذا إلى شدّ أزرك وإرهافك في سبيلك النيّر الخيّر هذا، إنصافاً للقيم التي توشك أن تضيع فتُضيع؛ ومتى ضاعت وأضاعت فقد خسرت الحياة «مثلها الأعلى» وعادت بعده تافهة، لأنّها تخلو آنذاك من حقّ وخيرٍ

١. نشر هذا التقريظ في مقدّمة الطبعة الثالثة (لموسوعة الغدير) المطبوعة في دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

وجمال، أي تخلو ممّا يحبّب الحياة ويرفعها، ويدلّ على أقدارها.

موسوعتك (الغدير) في ميزان النقد وحكم الأدبِ عملٌ ضخمٌ دون ريب، فهي موسوعةٌ لو اصطلح على إبداعها عدّة من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقّاً.

ولكنّي ما سقت كلمتي لأقول هذا، وإنّما سقتها لأُشير إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفكّكة داعياً إلى التشدُّد، والالتفات حول الحفنة الباقية من رجال الفكر الإسلامي ممّن يجيلون أقلامهم في علومنا وآثارنا بفقه وحبّ.

فليس شيء عندي أخطر على هذا الفكر الولود من التفرُّق عن رجاله، لأنّ التفرُّق عنهم نذير بعقم نتاجه، وقطع حلقاته، فالتفرُّق عنهم بمعناه تفريق للحواضر والبواعث التي تتَّصل بها حياة الحقّ في طبائع الأشياء وظواهر السنن.

وليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عقم هذا النتاج وقطع هذه الحلقات.

فإذا دعونا إلى مؤازرتك والوقوف إلى جانبك في شقّ الطريق بين يدي (غديرك) فإنّنا ندعوا في واقع الأمر إلى خدمة فكرة كلّية ترتفع بها شخصيّة الأُمّة كاملة، آملين أن يرى المفكّرون بك مثلاً يشجعهم بحياة الأُمّة حولك، وحسن تقديرها لك، أن يخدموا الحقّ الذي خدمته لوجه

الحقّ خالص النيّة.

أقف هنا لأقول: إنّ قمّـة (الهرم) في عملك الجاهد القيّم إنّما هي حبُّك له حبّاً يدفعك فيـه إلى الأمام في زحمة من العوائق والمثبِّطات، وهي خصلةٌ في هذا العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دأب أبطالنا من خدّام أهل البيت وناشري علومهم وآثارهم، ذلـك الدأب الذي أمتع الحياة بأفضل مبادئ الإنسانيّة من معارفهم النيِّرة.

أمّـا الجوانب الفنيّـة فقد نسجتهـا نسج صنـاع، وهيّأت لقلمك القويّ فيهـا عناصر التجـويد والإبـداع في مادّة الكتـاب وصورتـه، وفي أدواتها المتوفّرة على سعة باع، وكثرة اطّـلاع، وسلامة ذوق، وقوّة محاكمة، أمامك، حفظك الله وأعانك.

١٤ ذو الحجّة ١٣٦٨

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

٧

السيد شرف الدين والتقريب بين المسلمين

إنّ التقريب بين المسلمين من الآمال الّتي يطمح إليها كلّ مسلم مخلص عارف بـالقضايا الراهنة، وممّـا يحز بالنفس أن نـرى أبناء أُمّة واحـدة تجمعهـا روابط كثيرة، متشتّتيـن مختلفين لا يتعاونـون تعـاون الإخوة، وقد خاطبهم الله سبحانـه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَـا رَبُّكُمْ فَـاعْبُدُونِ﴾[1]، وجعلهم الكتـاب إخـوة متعـاطفين وقال: ﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُـونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، ومع ذلك نـرى التشتت والتمـزق متفشّيْن فيهم.

ولـدرء هـذا الخطـر قـام في أواسـط القـرن الـرابع عشر جماعـة ـ إحسـاساً منهم بخطـورة الموقف ــ بتأسيس دار التقـريب بين المذاهب الإسلاميـة في القاهـرة، وعلى رأسهم الشيخ محمود شلتـوت شيخ الأزهر من أهل السنّة والسيد شرف الدين من الشيعة.

---

١. الأنبياء:٩٢.

٢. الحجرات:١٠.

وقد نشرا مقالات حول التقريب وتبيين المشتركات، وأنّ المسائل الخلافية لا تضر بوحدة الكلمة وتوحيد الأُمّة.

وهذا ما يظهر من مقالاته المنتشرة في مجلة رسالة الإسلام.

ومع ذلك كلّه ليس التقريب عنده بمعنى تذويب السنّة في الشيعة أو بالعكس، فإنّ التقريب شيء والتذويب شيء آخر، فالسيد من دعاة التقريب لا من دعاة التذويب، فإنّ الثاني أمر مستحيل في الظروف الحاضرة والأوّل أمر ممكن.

ولذا نراه ــ مع أنّه يكتب مقالات في التقريب وألّف كتاب: «الفصول المهمة في تأليف الأُمّة» الّذي طبع في صيدا عام ١٣٣٠هـ ـ يرد على موسى جار الله الّذي افترى على الشيعة برسالة خاصّة أسماها: «أجوبة مسائل موسى جار الله» الّتي طبعت في صيدا عام ١٣٥٥هـ، كما أنّه ألّف رسالة باسم: «رسالة إلى المجمع العلمي العربي بدمشق» والّتي طبعت في صيدا سنة ١٣٧٠هـ وقد ردّ بها على الأُستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع عندما تعرض لآل البيت عليهم السلام في مقال نشره في مجلة المجمع.

هذا بعض ما تيسّر لنا كتابته تقديماً للمؤتمر الّذي أُقيم إجلالاً له في اليومين الثالث و الرابع من صفر المظفر عام ١٤٢٦هـ في قم المشرفة في قاعة مدرسة الإمام الخميني رحمه الله.

ونحن نعترف بتقصيرنا أو قصورنا عن بيـان ما للسيد الراحل من فضائل ومناقب وخدمات وبطولات.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

جعفر السبحاني

قم المشرفة

صفر المظفر ١٤٢٦هـ

فهرس المحتويات

٣

مواجهة المستعمرين

٤

كلمات الأعاظم في حق السيد

٥

مؤلفاته و آثاره

٦

نماذج من رشحات قلمه الفياض

٧

السيد شرف الدين والتقريب بين المسلمين